



فخاظر وتأملات في سورة

الكهف

الدكتور المهندس

راشد الليم

خواطر وتأملات في سورة

الكهف

اسم الكتاب: خواطر وتأملات في سورة الكهف

المؤلف: راشد الليم

تصميم الغلاف وإخراج الكتاب: مداد للنشر والتوزيع

الرقم الدولي للكتاب: ISBN 978-9948-39-060-2

الطبعة الأولى: 2019

التصنيف العمري: E

تمت الموافقة على الكتاب من قبل المجلس الوطني للإعلام
بدولة الإمارات العربية المتحدة.

رقم إذن الطباعة: MC-01-01-8324220

مركز الليم للمعرفة
Alleem Knowledge Center



تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقا
لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام.

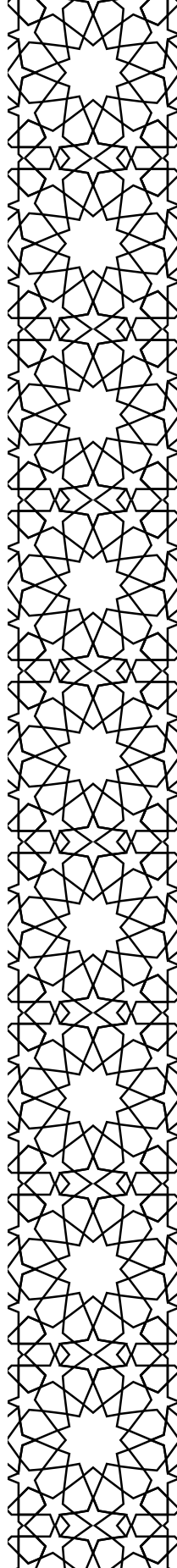
خواطر وتأملات في سورة الكهف

الدكتور المهندس

راشد الليم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





إلى ابني الغالي عمر

الذي لقبته بالفاروق منذ ولادته

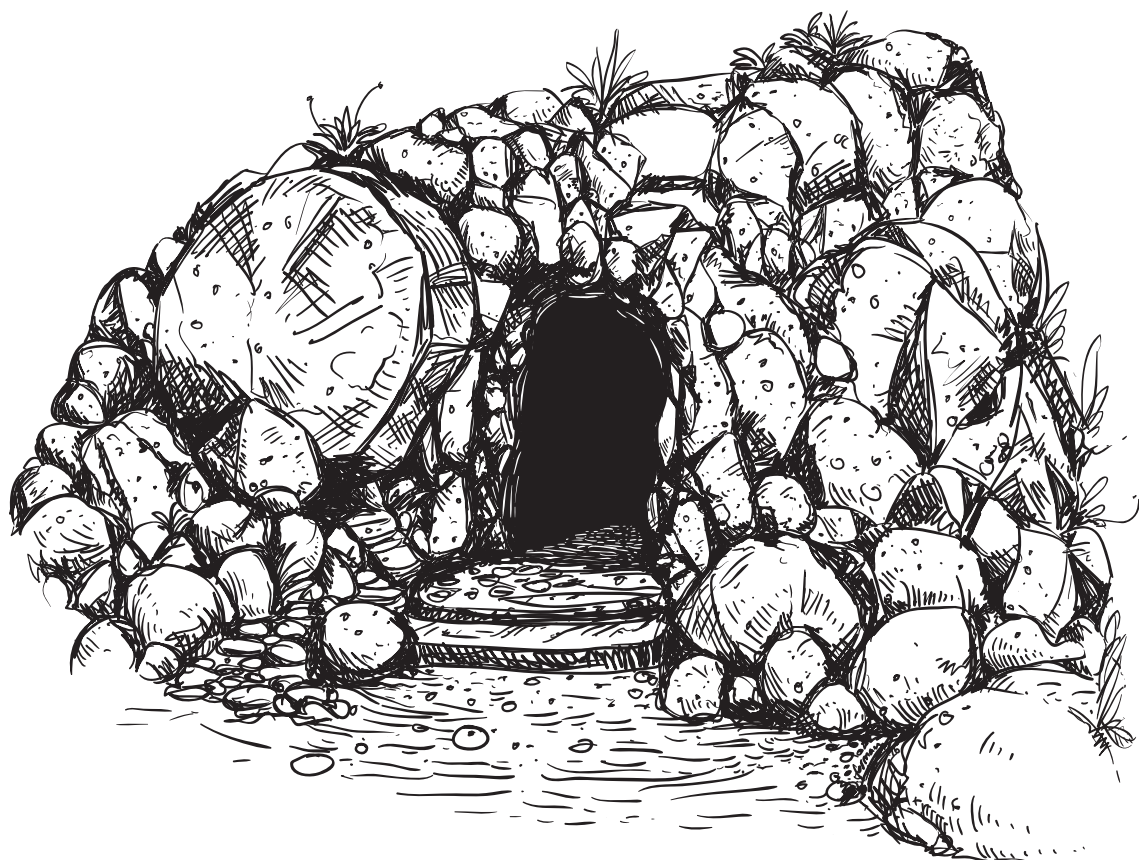
أسوة بفاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

حفظك الله.. رعاك الله.. وفقك الله.. سلمك الله

المحتويات

13.....	نصيحة
15.....	حديث النفس
16.....	الحوار
23.....	خطبة الكتاب
26.....	هذا الكتاب
29.....	سورة الكهف في سطور
37.....	خواطر في سورة الكهف
39.....	الخاطرة الأولى: القرآن الكريم
46.....	الخاطرة الثانية: الإنذار الشديد
52.....	الخاطرة الثالثة: الحرص على الدعوة
54.....	الخاطرة الرابعة: حقيقة الحياة الدنيا
58.....	الخاطرة الخامسة: قصة أصحاب الكهف
73.....	من آيات الله: في الكهف لأهل الكهف
74.....	الآية الأولى: حركة الشمس
76.....	الآية الثانية: النوم
88.....	الخاطرة السادسة: إقرأ
90.....	الخاطرة السابعة: الصبر على الدعوة
93.....	الخاطرة الثامنة: الاختيار
97.....	رسالة إلى أهل الكتاب بعنوان هذه عقيدتي
108.....	الخاطرة التاسعة: الترهيب والترغيب
117.....	الخاطرة العاشرة: قصة صاحب الجنتين
138.....	الخاطرة الحادية عشرة: تذكروا لنا جميعاً
140.....	الخاطرة الثانية عشرة: الباقيات الصالحات

142		الخاطرة الثالثة عشرة:
142		من مشاهد يوم القيامة
145		الخاطرة الرابعة عشرة: يوم الحساب
147		الخاطرة الخامسة عشرة: العدو الحقيقي
149		الخاطرة السادسة عشرة: يوم التحدي
151		الخاطرة السابعة عشرة: مصدر العلم
152		الخاطرة الثامنة عشرة: استفهام رباني
153		الخاطرة التاسعة عشرة: وظيفة الرسل
155		الخاطرة العشرون: أشد الناس ظلماً
156		الخاطرة الحادية والعشرون: رحمة الله
158		الخاطرة الثانية والعشرون: ذكرى
160		الخاطرة الثالثة والعشرون: قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح
172		الرحلة الأولى: حادثة السفينة والملك الظالم
174		الرحلة الثانية: حادثة الغلام
177		الرحلة الثالثة والأخيرة: بناء الجدار
184		الخاطرة الرابعة والعشرون: قصة ذي القرنين
187		الرحلة الأولى: رحلة المغرب
189		الرحلة الثانية: رحلة المشرق
190		الرحلة الثالثة: رحلة يأجوج ماجوج
198		الخاطرة الخامسة والعشرون: مشهد آخر من مشاهد الدار الآخرة
200		الخاطرة السادسة والعشرون: الخاسرون
202		الخاطرة السابعة والعشرون: الجنة
204		الخاطرة الثامنة والعشرون: المعجزة
205		الخاطرة التاسعة والعشرون: سيد ولد آدم محمد ﷺ
227		نبذة عن المؤلف: راشد الليم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً والصلاة والسلام على من أرسله ربه للعالمين رحمة وفرجاً وبعد...؛

فإن هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ والموسوم بـ (خواطر وتأملات في سورة الكهف) لأخي الحبيب الدكتور المهندس راشد الليم، والذي اتسم بسلامة الأسلوب وسهولة العبارة وجمال العرض — قد جذبني بعمق خواطره ودقة تأملاته التي أفدت منها كثيراً.

وأعتقد أننا جميعاً في أمس الحاجة، إلى مثل هذه الخواطر وتلك التأملات، لفهم القرآن الكريم وربطه بواقع الحياة، لنكون بحق قرآناً يمشي بين الناس. ويكفي أنه:

يخاطب الناس بأسلوب يتسم بالحوار الهادئ والهادف، إنه يخاطب العقل والوجدان. يحاول دائماً أن يشرك قارئه معه، فيقول له — مثلاً: — بحث لك في الكتاب بالسنة عن كذا... وأترك لك أخي القارئ لتبحث أكثر، وترسل لنا ما وجدت على بريدي الإلكتروني.

يستلهم من قصة أصحاب الكهف إصلاح الخلل الموجود في الأمة بضرورة التركيز على الشباب وعدم اليأس من إصلاحهم.

يجمع لك من أمهات كتب التفسير الكثير من اللطائف والفوائد المتناثرة هنا وهناك.

يسوق لك الموقف ثم يربطه بموقف آخر مماثل أو مشابه قائلاً: يذكرني ذلك بكذا..... من ذلك يربطه بين قصة أصحاب الكهف وهجرة الحبيب المصطفى ﷺ، موضحاً ما في ذلك من عظات وعبر.

يسوق لك آية من الآيات الكونية كحركة الشمس والكهف، ثم تراه يترك المجال لأهل الاختصاص من العلماء والباحثين لشرح أهمية ذلك، مرحبا بمشاركاتهم العلمية في مركز الليم للمعرفة.

أحيانا تراه - وهو يعرض موقفا بأسلوب أدبي رفيع - يشير إلى روعة ودقة الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، حاثاً مدرسي اللغة العربية ومعلميها أن يربوا أبناءنا على أسلوب القرآن البلاغي المعجز....

كان موفقا إلى حد كبير في استدعاء المواقف المماثلة والمشابهة من القرآن الكريم كالربط بين قصة أصحاب الكهف وقصة أصحاب القرية في سورة البقرة، مبرزاً العامل المشترك بينهما.

وكأنني به وقد أخذته الشفقة على أبناء جنسه فراح يحثهم برفق ولين: يا أخي الفاضل..... يامن تقرأ هذه السطور..... وكم حث الشباب على حسن التأسي والاقتداء!

تراه أحيانا يلمس برفق وأناة واقع البشرية المؤلم، مشيراً إلى حاجتها إلى هدى الله، ويذكر دائماً بحاجتنا إلى أن نتمثل القرآن قولاً وعملاً.

تجلت غيرة صاحبنا وحرصه الشديد على تثبيت دعائم دين الله في الأرض، لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، في رسالته إلى أهل الكتاب: هذه عقيدتي.

تراه أحيانا يسوق النصائح الهادئة الهادفة إلى الشباب، مبنيها لهم المفهوم الحقيقي للجهاد... وما أوجنا إلى مثل ذلك في هذا العصر.

أشار إلى أشياء إشارات مجملّة - حسب قوله - لكنه حفظه الله، أصاب كبد الحقيقة كما يقولون، وخير الكلام ما قلّ ودلّ.

في سرده لخواطره وتأملاته يحرص على ربط ذلك بالواقع، مستخلصاً العظات والعبر، داعياً إلى أن نتقل من مرحلة العلم إلى العمل.

موجهاً النصح لمن هم بحاجة إليه.... ولم لا و(الدين النصيحة).

وبعد أن أنهى خواطره التي بلغت 29 تسعاً وعشرين خاطرة، مبرزاً من خلالها أهم القيم لبناء الإنسان - جاء مسك الختام، إذ تجلّى حب صاحبنا للحبيب المصطفى ﷺ. موجهاً النصح للبشرية كلها بنصرة دين الله والزود عن حبيبه المصطفى ﷺ، محذراً من التناول عليه ﷺ، وصدق الله العظيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: 57].

وأستميحك عذراً أخي القارئ إذ أطلت، لكنه شغفي بالكتاب وصدق ما فيه من خواطر وتأملات.

وأتركك مع الكتاب لتقف على ما فيه من لآلئ ودور، راجياً قبول محبتي واحترامي وتقديري لك ولصديقي العزيز الدكتور المهندس راشد الليم سائلاً المولى عز وجل أن يجعل ذلك في ميزان حسناته.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

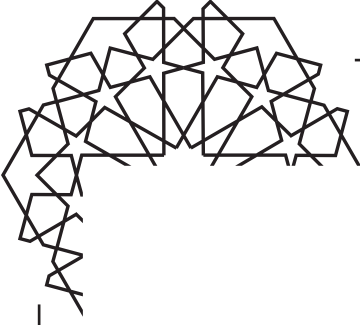
د. رشاد سالم

مدير الجامعة القاسمية

الشارقة

بِسْمِ الَّذِي
فِي كُلِّ سُورَةٍ سُمِّيَهُ





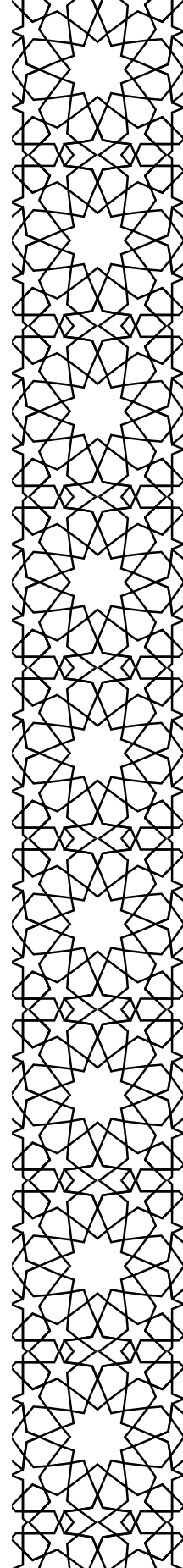
نصيحة

إنني أتمنى من كل قلبي لكل من يقع في يده هذا الكتاب، وقبل أن يشرع في قراءته أن يقوم ويتوضأ، ويصلي لله ركعتين خفيفتين، ثم يولي وجهه شطر المسجد الحرام، ويدعو الله بقلب سليم أن يفتح عليه من فضله، ثم يمسك بكتاب الله ويضعه بين يديه بتأدب وتلطف، ويفتح على الجزء الخامس عشر الذي تقع فيه سورة الكهف، ثم يستعيز بالله من الشيطان الرجيم، ويبدأ بقراءة سورة الكهف كاملة بكل تأمل وتدبر امتثالاً لقوله تعالى في سورة ص: ﴿كَتَبْنَا نَزْلَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِّدَّبَرُواْ آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوْاْ الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29] ولا يستعجل بالقراءة ويقرأه على مُكْث لقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَقُرْآنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾ [الإسراء: 106].

لأنه إن فعل ذلك فإنه سيقف بإذن الله على آيات بينات فيها من الكلام البليغ، الذي يجمع بين الإيجاز والإعجاز، بين المتعة والفائدة، ثم يبدأ في قراءة الكتاب الذي بين يديه، وعندما يفرغ من قراءته يتوجه إلى السماء ويقول: رب زدني علماً... لأنه حتماً سيكتشف بعضاً من الحقائق المهمة عن سورة الكهف.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



حديث النفس

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به

في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

عندما أمسكت بقلمتي وأردت أن أكتب حول موضوع الكتاب، انتابني شعور غريب عجيب، شعور فرحة وسعادة ممزوج بتردد وحيرة! وساد غرفة المكتب جو غريب صامت، فنظرت نظرة في سقف الغرفة، وقلبت وجهي في مكتبي التي تعج بعشرات الكتب العربية والأجنبية. وقلت: يا الله.. سبحانك.. إني لما أنزلت إليّ من خير فقير.. فرغم كثرة الكتب والمراجع إلا أنني أشعر في هذه اللحظة بالجهل الشديد وقلة العلم.. فناديت بهمس قائلاً: رب دبرني فإنني لا أحسن التدبير.. فأنت تعلم ما يدور في نفسي من حيرة وتردد.

وما هي إلا لحظات حتى شعرتُ أيها القارئ الكريم بأن لنفسي عليّ خلافاً، وبدأت تنازعني، وتشد عليّ، وأنا أحاول جاهداً أن أتهرب منها ومن ميدان المعركة الذي فرض عليّ.. وما هي إلا لحظات حتى وضعت الحرب أوزارها، وأعلنت استسلامي، وضعفت أمام نفسي، ورفعت رايتي البيضاء، وشهد قلبي، وجميع جوارحي على نتيجة المعركة.. فحكم القلب عليّ أن أحاور نفسي فكان هذا الحوار المثمر.

استمتع...!

الحوار



بسم الله مدني
ومن العدم منشي

ابتدأت أنا الحوار وتساءلت بذهول وتعجب وقلت لها:
يا نفس، ما خطبك الليلة؟.. وما هذا الشعور الغريب الذي ينتابني؟
النفس: بل أنت ما خطبك يا راشد؟.. ولم تهرب مني؟
راشد: لا شيء.. إلا أنني أردت أن أكتب كتاباً جديداً يتحدث عن سورة
الكهف.
النفس: جميل جداً. ولم الحيرة إذاً؟.. الكتابة شيء جميل جداً.
راشد: أعلم ذلك جيداً.. أنا متوتر بعض الشيء.
النفس: لا بد من أن أقف معك وقفة تحدٍ ومصارحة قبل البدء والشروع في
كتابة الكتاب.. وعرض ما تحمله السورة من خواطر وتأملات.
راشد: ولم؟
النفس: أراك تتهرب من واقع إلى مجهول!

راشد: كما ترين! لقد هممت بكتابة كتاب "خواطر وتأملات في سورة الكهف" ثم توقفت ووضعت القلم جانباً. وقلت من أكون أنا حتى أقحم نفسي في هذا المجال الذي لا شاطئ له.

النفس: ولماذا؟. ألم تسمع الإمام الشافعي وهويقول:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة

إلا الحديث وإلا الفقه في الدين

العلم ما كان فيه قال: "حدثنا"

وما سوى ذاك وسواسُ الشياطين

راشد: لا أعلم... لا أعلم. بضاعتي مزجاة.. وأخشى من النقد الجارح!

النفس: بل تعلم.. أنت متردد!

أعرض عن الجاهل السفيه

فكل ما قال فهو فيه

ما ضرَّ بحر الفُرات يوماً

أن خاضَ بعض الكلاب فيه

أنا أقرب الناس إليك وأعلم ما يدور بخاطرك! لا تتردد لقد كانت لك تجارب ناجحة في بعض الرسائل والكتب التي كتبتها حول كتاب الله العزيز منها على سبيل المثال "وقفات مع سورة يوسف" وكتاب "هدى سليمان". وكتاب "اليهود في القرآن". فلماذا التردد الآن؟ أهو تلبس إبليس اللعين؟

تبسمت ضاحكاً من قولها وشعرت بنوع من الارتياح وقلت:

نعم، هو ذلك.

النفس: أنا لا ألومك فهذا مس من الشيطان الرجيم، واستمع إن شئت إلى الإمام ابن الجوزي، أثابه الله الجنة بمنه وكرمه، وهو يقول في كتابه القيم "صيدُ الخاطر": "ما زالت نفسي تنازعني بما يوجبه مجلس الوعظ، وتوبة التائبين، ورؤية الزاهدين.. إلى الزهد والانقطاع عن الخلق والانفراد بالآخرة!.. فتأملت ذلك فوجدت عمومته من الشيطان... فإن الشيطان يرى أنه لا يخلو لي مجلس من خلق لا يحصون، يكون ويندبون على ذنوبهم، ويقوم في الغالب جماعة يتوبون ويقطعون شعور الصبا. فكأن الشيطان لبعد غوره في الشر، رأي أجتذب إليّ من أجتذب منه، فأراد أن يشغلني عن ذلك بما يزخره ليخلو هو بمن أجتذبهم من يده".

راشد: عجيب! وكأنني أسمع هذا الكلام الجميل لأول مرة..! رغم أنني قرأت الكتاب منذ عدة سنوات ولأكثر من مرة.

النفس: هو ما ذكرته لك. عليك بالرجوع إلى الكتاب فإني آراه الآن في مكتبتي في قسم اللغة العربية.

راشد: إذاً هذه وسوسة الشيطان ليبعدني عن الكتابة!؟

النفس: نعم هو ذلك. يقول الله تعالى عن الشيطان الرجيم: ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف: 16].

راشد: وما العمل الآن؟

النفس: تذكر أن إبليس اللعين ليس له سلطان ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ

صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ [النحل: 99]. فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وتوكل على الحي الذي لا يموت.

راشد: أحسنت، ولكن ما يجعلني أتردد أكثر الآن هو، أولاً: أنا لست بعالم متخصص في علم التفسير، وثانياً: هذا العلم بحر لا شاطئ له. وما أنوي كتابته يحتاج إلى رجل متمكن متخصص، وذو علم واسع.

النفس: تذكر قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216].

راشد: أراك متحمسة أيتها النفس!

النفس: هذا صحيح، ولكنك لا تنوي التعرض للتفسير المجرد لسورة الكهف.. إنما هي خواطر وتأملات. ونحن أمرنا شرعاً أن نتدبر القرآن. يقول سبحانه وتعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29].

راشد: صدقت ورب الكعبة.

النفس: لا تتردد وتتحوف فلا تدري أي عمل يتقبله الله منك بقبول حسن. قال الحسن البصري: لا يزال الرجل بخير، إذا قال قال لله، وإذا عمل لله. وأنصحك وقبل أن نكمل حديثنا أن تنفذ وصية الرسول ﷺ.

راشد: وما هي؟

النفس: دعاء الاستخارة الشرعية.. وأزيدك في هذا بياناً: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: " كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا

السورة من القرآن يقول: إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم يقول: اللهم إني استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاقدره لي ثم يسر لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم ارضني به (قال ويسمي حاجته) " [رواه البخاري].

راشد: وما خاب من استخار.. شكراً لك سأنفذ هذه النصيحة حالاً.

النفس: إذاً سنعود للحوار بعد أن تصلي ركعتين وتدعو بدعاء الاستخارة.

راشد: اتفقنا.

وبعد عشر دقائق عاد الحوار بيننا...

النفس: أراك مبتسماً!

راشد: نعم، أعتقد أنني سوف أشرع في كتابة الكتاب.

النفس: قرار صائب بكل تأكيد.. توكل على الله. ومن يدري لعل بأسلوبك السهل الميسور تصل إلى قلب القارئ الكريم في هذا الشهر الكريم، وتسعده بما يسره ويدعو لك دعوة صالحة في ظهر الغيب.

راشد: هل تعتقدين أنني سوف أوفق فيه؟

النفس: أنت طالب علم ولا حرج في ذلك. سأذكرك بحديث سيقوي عزيمتك ويشجعك على المضي قدماً في مشروعك.

راشد: وما هو؟

النفس: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة". [رواه مسلم].

راشد: ولكنني....!

النفس: لا تحزن. إذا عازمت فتوكل على الله. وتذكر فضل الله عليك أن حبَّب إليك الحياة بين مطاوي الكتب النافعة وخاصة كتب التفسير وعلوم القرآن. اكتب عما يجول بخاطرك من خواطر حول سورة الكهف. وتذكر فضل العلم. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9]. وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 11]. وتذكر أجر طالب العلم. قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إن الله وملائكته، وأهل سماواته وأرضه، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر، يصلون على مُعَلِّمِ الناس الخير" [أخرجه الترمذي].

وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نظماً:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم

على الهدى لمن استهدى أدلاء

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه

والجاهلون لأهل العلم أعداء

ففز بعلم تعيش حياً به أبداً

الناس موتى وأهل العلم أحياء

راشد: أحسنتِ الحوار ورب الكعبة.

النفس: تذكر قول الشاعر:

وما من كاتب إلا سيفنى

ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء

يسرك في القيامة أن تراه

راشد: نعوذ بالله من علم لا ينفع... اللهم ألهمنا الحكمة وفصل الخطاب.

النفس: اللهم آمين.. اللهم آمين.

راشد: نسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد، إنه كريم جواد... سبحانه
اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

النفس: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾
[العصر: 1-3].

والآن أترك القارئ بين يدي الكتاب.. أوالكتاب بين يدي القارئ.

والله ولي النفع، إنه قريب مجيب.





خطبة الكتاب

وبه المستعان وعليه التكلان

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ ﴿١﴾ فَيَمَّا يَلِيْذِرَ بِأَسَا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۖ ﴿٢﴾ مَّا كَثِيرٌ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: 1-3]



الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فهو المهتد، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يُخشى، ولا نظير له يُرتجى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله مصباح الدجى، وعلى آله وصحبه في النهار إذا ضحى والليل إذا سجد. ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أمّا بعد:

فإن العيش في ظلال سورة الكهف نعمة لا يعرفها إلا من تدبر (ولا أقول من حفظ فقط) آياتها البينات المعجزات. وهي من السور التي أحب قراءتها من وقت لآخر، لا سيما يوم الجمعة قبل الخطبة مباشرة، وقبل أن يقف الإمام على منبره، ففيها من القصص والعبر ما يثبت الله به الفؤاد، ويسلي بها خاطر.

دعاني إلى وضع هذا الكتاب، ما تحتويه سورة الكهف من قصص فيها الكثير من العبر والتوجيهات الربانية التي تنظم حياة الناس ومصالحهم في كل زمان



ومكان ونحن اليوم نعيش في وضع اقتصادي اجتماعي سياسي متأزم.. تكالبت علينا الأمم من كل حدبٍ وصوب، وأصبحنا كالقصعة لا نقدر على شيء. وبدأ الكل يبحث عن الحل الأنجع. ويقول: هل إلى خروج من سبيل؟

لذا أحببت أن أشارك أحبتي القراء بما يجول في خاطري من خواطر وتأملات وأكتب هذا الكتاب والذي فيه أتيت، بما إليه أهتديت، مما يسر الناظرين، ويشرح صدور المنصفين. وسميته: "خواطر وتأملات في سورة الكهف" جعله الله خالصاً لوجهه الكريم، ووسيلة إلى النعيم المقيم.

والله أسأل بأسمائه الحُسنى وصفاته العُليا أن يجعل عملي كله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يمن عليّ بالعون على إكماله بكرمه ومنّهِ، وأن يهديني لما اختلف فيه من الحق بإذنه، وأن يجزل لي على الاشتغال بتدبر كتابه العزيز الثواب في الدار الأخرى، وأن يسبغ عليّ وعلى من طالعه أو قرأه أو وزعه النعم الوافرة تترى إنه سميع مجيب. والله أسأل أن ينفع به إنه خير مسؤول.

تركت النَّوم ربّ في الليالي

لأجل رضاك يا مولى الموالى

فوفقني إلى تحصيلِ علمٍ

وبلغني إلى أقصى المعالي

وأعتذر مسبقاً إذا كان في الكتاب مأخذ، فإنه من صنع البشر غير معصوم. وأرجو ألا تكون ممن قال عنه الإمام الشافعي:

عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْكِي عَلَى عَيْبٍ غَيْرِهِ
دُمُوعاً، وَلَا يَبْكِي عَلَى عَيْبِهِ دَمًا
وَأَعْجَبُ مَنْ هَذَا يَرَى عَيْبَ غَيْرِهِ
صَغِيرًا وَفِي عَيْنِيهِ مِنْ عَيْبِهِ عَمًى



هذا الكتاب



" الحديث مرآة الروح. والإنسان يتحدث عاكساً ما بداخله. " [سيروس]

" خواطر وتأملات في سورة الكهف " كتاب قيّم لم يكتب مثله في البلاد! وذلك لسهولة عباراته، وبساطة أسلوبه الذي يخاطب العامة قبل الخاصة، وهو ليس بكتاب تفسير أو مجلد لشرح أسباب النزول. وإن كنا سنعرج على هذين العنصرين المهمين ونحن نتجول بين دفتي الكتاب.

" خواطر وتأملات في سورة الكهف " كتاب جميل سهل العبارة يحمل بين أسطره وعباراته الكثير من المعاني والخواطر القيّمة كتبتها في فترات متقطعة كانت تدفعني إليها مناسبات مختلفة، وأنا أستعد لاستقبال شهر رمضان الكريم، شهر الرحمة والمغفرة، والعنق من النار، أسأل الله عز وجل أن يبارك لنا في رجب وشعبان وأن يبلغنا رمضان، وأن يجعلنا ممن يصوم نهاره ويقوم ليله وأن يغفر لنا في ليلة القدر المباركة.

" خواطر وتأملات في سورة الكهف " كتاب نفيس، كثير الفائدة. ليس سفرّاً شاملاً لكل ما كتب عن سورة الكهف. وكنت فيه منساقاً مع طبيعتي التي تحب البساطة والبعد عن التعقيد في كل شيء. وقد استشهدت فيه واستأنست

ببعض الشعر. وقد قال ﷺ: " إِنَّ مِنْ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ " [أخرجه البخاري].

" خواطر وتأملات في سورة الكهف " خير جليس في الزمان كتاب يزيدكم علماً وفهماً، ويهديكم صراط الحياة المستقيم بإذن الله. ولا أقول هذا من باب الإعجاب، بل من باب قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 11]. وستأتي الأيام لتحكم عليه.

" خواطر وتأملات في سورة الكهف " خواطري التي أقدم أكثرها في هذا الكتاب ممزوجة بخواطر سياسية واجتماعية واقتصادية أوحى بها ظروفنا الحالية، وتجنبنا بقدر المستطاع المثير من المسائل.

" خواطر وتأملات في سورة الكهف " هديتي للقارئ الكريم في هذا الشهر الكريم، يحتوي على موضوعات تلامس القلوب المؤمنة وتحركها في زمن يكاد المرء فيه ينسى نفسه، لطغيان المادة ومتطلبات الحياة الراهنة المتلاحقة. وقد كتبته امتثالاً لقول الحبيب محمد ﷺ: "قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابَةِ" [رواه الطبراني]. وقال الإمام الشافعي:

الْعِلْمُ صِيْدٌ وَالْكِتَابَةُ قَيْدُهُ

قَيِّدْ صُيُودَكَ بِالْحَبَالِ الْوَائِقَةِ

وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَقْبَلَ مِنِّي هَذَا الْعَمَلُ وَأَنْ يَجْعَلَ لِي ذَخْرًا يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَشْغَلْنَا بِذِكْرِهِ وَيُلْهِجَنَا بِشُكْرِهِ، وَيَنْوِّرَ بِالْعِلْمِ قُلُوبَنَا، وَيَفْتَحَ بِالْحِكْمَةِ أَسْمَاعَنَا،

ويستعمل بالطاعة أبداننا، ويجعلنا ممن صمت ليسلم، وقال ليغنى، وكتب
ليعلم، وعلم ليعمل. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبَرُهُ
تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: 111].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

راشد الليم

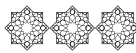
rashid@alleem.com

سورة الكهف في سطور

ذكر ما ورد في فضلها والآيات العشر من أولها وآخرها وأنها عصمة من الدجال: سورة الكهف من السور المحببة إلى قلبي، كيف لا والحبيب محمد ﷺ حث على قراءتها في يوم الجمعة والحديث يرويه الإمام مسلم طيب الله ثراه. عن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: " من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدجال " وفي رواية: " من آخر سورة الكهف ... " ومن الأحاديث التي تقشعر منها جلود الذين آمنوا ثم تلين، ما ذكره إمام أهل السنة الإمام أحمد حيث يقول: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء يقول: قرأ رجل الكهف وفي الدار دابة، فجعلت تنفر، فنظر فإذا ضبابة أوسحابة قد غشيتها، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: " اقرأ فلان، فإنها السكينة تنزل عند القرآن أوتنزلت للقرآن ". وهذا الرجل الذي كان يتلوها هو أسيد بن الحضير.

وروى الدارمي في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: " من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق " .. وروى أيضاً " إن من قرأها يوم الجمعة غفر له إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام وأعطى نوراً يبلغ السماء ووقي فتنة الدجال " .

وسنذكر إن شاء الله تعالى أحاديث أخرى ذكرت فضل سورة الكهف وقراءتها في نهاية الكتاب. فاحرص على قراءتها ففيها الخير الكثير.



سبب نزول هذه السورة الكريمة:

ذكر محمد بن إسحاق سبب نزول هذه السورة الكريمة، فقال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجوا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ، ووصفا لهم أمره وبعض قوله، وقالوا: إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، فقالوا لهما: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم، فإنهم قد كان لهم حديث عجيب؟ وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هي؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم، فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالوا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار اليهود أن نسأله عن أمور وأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ "أخبركم غداً عما سألتكم عنه" ولم يستشئ أي لم يقل إن شاء الله فانصرفوا عنه ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحياً، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها، لا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه وهذا أحزن رسول الله ﷺ انقطاع الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية والرجل الطواف، وقول الله عز وجل ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85].

ذكر ما جاء فيها من قصص:

القصص هو العنصر الغالب في هذه السورة المباركة. ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف والتي سميت السورة بها، وبعدها قصة صاحب الجنتين، ثم إشارة سريعة إلى قصة آدم عليه السلام وإبليس اللعين. وفي وسطها تجيء القصة العجيبة قصة كليم الله موسى عليه السلام مع العبد الصالح. وفي نهايتها نبذة مجملة عن حياة ذي القرنين مع قوم يأجوج ومأجوج. ويستغرق هذا القصص معظم آيات السورة، فهو وارد في إحدى وسبعين آية من عشر ومئة آية، ومعظم ما يتبقى من آيات السورة هو تعليق شاف رائع أو تعقيب على القصص فيها. والباقي يؤكد حقيقة الحياة الدنيا وبعض مشاهد القيامة المخيفة، والمصير النهائي لأهل الإيمان وأهل الكفر والعصيان. تختتم السورة المباركة بخاتم الأنبياء والرسل سيد ولد آدم حبيبي محمد ﷺ.



ما هي القصة؟

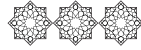
القصة في مدلولها البسيط، هي حادثة، أو مجموعة من الحوادث المترابطة، ينتخبها القاص من الحياة، أو يتخيلها كما تجري في الحياة، بعد أن يختار لها أبطالها ومساحتها الزمانية والمكانية. ويكون نصيبها في القصة متفاوتاً من حيث التأثير والتأثير.



ما الهدف من القصة؟

مهمّة القاصّ تنحصر في نقل القارئ إلى حياة القصة، بحيث يتيح له الاندماج التام في حوادثها، ويحمله على الاعتراف بصدق التفاعل الذي يحدث بين الشخصيات والحوادث. وهدفه من وراء ذلك، التعبير عن نفسه وعن نظراته إلى الأحداث والناس، وتفسيره الخاص للحياة بما يحمله من مبادئ وقيم.

ولعلنا نجلّ القاص ونقدر جهده، عندما نشعر بأنه يساعدنا على اجتلاء بعض النواحي المجهولة والتصرفات الغامضة، في حياتنا.



وماذا عن قصص القرآن؟

قصص القرآن الكريم شيء آخر تماماً، ولا مجال للمقارنة هنا، فهي كلام الله، وأنزلت من عند الله على رسول الله وفيها عبر ودروس لأولي الألباب، وهي حقاً بعيدة كل البعد عن زخرف القول. يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 111].

والناظر في قصص القرآن يرى العجب فإنك ترى القصة تحتل مساحة واسعة من القرآن كقصة موسى عليه السلام مع فرعون حيث تحدث القرآن عنها بإسهاب في معظم سور القرآن. ومنها من كانت القصة كاملة مطولة ذكرت في سورة واحدة كقصة يوسف عليه السلام. ومنها الذي لم يتجاوز عدة آيات كقصة رجل من علماء بني إسرائيل، يدعى " بلعم بن باعورا " والتي جاءت في سورة الأعراف.

وما الهدف من قصص القرآن؟

الهدف من قصص القرآن يستنتج من قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120].

ما أهم سؤال يطرحه القارئ على نفسه بعد قراءة قصص القرآن؟

إن أهم سؤال يطرحه القارئ على نفسه، هو: هل تركت في النفس أثراً لا ينسى؟ وهل هذا الأثر الذي تركته ناتج عن سلسلة من الحوادث، أو عن شخصية من الشخصيات، أو عن فكرة من الأفكار، أو عن صورة لمجتمع في فترة معينة، أو لجماعة من الجماعات؟ وما الدروس والعبر المستفادة؟ وكيف أستطيع ربط حوادث قصص القرآن الكريم بالواقع الذي أعيشه؟



ما الذي تعالجه القصص المذكورة في سورة الكهف؟

إنَّ المتدبر لهذه القصص من السورة الكريمة يخلص إلى نتيجة مهمة وهي: إنَّ هذه القصص تحدثت عن الفتن الأساسية في حياة الناس والشعوب على مر الأزمان والعصور، كما تضمنت هذه القصص الدروس والعبر والتوجيهات الربانية. وهذه الفتن هي:

- 1 **فتنة الدين:** وهذه كانت فتنة الفتية أهل الكهف والرقيم الذين نجحوا فيها بامتياز بعد أن صدقوا الله ما وعده.
- 2 **فتنة المال والولد:** وهي فتنة صاحب الجنتين الذي أغراه ولده وماله فأودى به إلى الخسارة الكبرى.

3 **فتنة الكبر:** وهي فتنة إبليس اللعين عندما رفض أمر الله بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام.

4 **فتنة العلم والمعرفة:** وهذه الفتنة تتجسد في قصة موسى عليه السلام وفتاه مع الرجل الصالح.

5 **فتنة القوة العظمى والسلطة:** سنجدها في قصة ذي القرنين وسياحته في الأرض.

وسنرجئ الكلام عن هذه الفتن وأسبابها والعبر والدروس المستفادة منها في خواطر وتأملات هذا الكتاب. نرجو أن تستمتعوا معنا.

ما المحور الموضوعي لسورة الكهف؟

المحور الأول: تصحيح العقيدة وإقرار التوحيد الخالص لله عز وجل

وهو أهم محور في هذه السورة المباركة. فالشرك ظلم عظيم. وهذا نجده في بداية السورة ونهايتها. أما بداية السورة وما تضمنته من إنزال القرآن الكريم وإنذار من قال إن الله اتخذ ولدًا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ ۝١ فَيَمَّا يَلِيزُ أَسَاسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّا كَثُوبٌ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ وَيُنذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝﴾ [الكهف: 1-5].

وفي الختام تضمن إثبات إنزال الوحي على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، وإفراد الله سبحانه بالتوحيد الخالص يقول الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىَّ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا ۝﴾ [الكهف: 110].

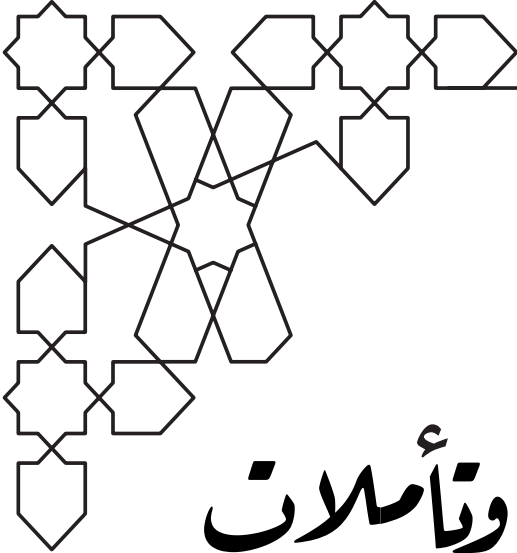
المحور الثاني: تصحيح القيم والمبادئ.. حيث يرد القيم الحقيقية إلى الإيمان بالله، والعمل الصالح الخالص لله، ويصغر ما عداها من القيم الأرضية الدنيوية التي تبهر الأنظار، وتخدع السواد الأعظم من الناس ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. وهذه نجدها في قصة صاحب الجنتين مع صاحبه.

فكل ما على الأرض من زينة إنما جعل للابتلاء والاختبار، ونهايته بلا شك إلى فناء وزوال ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿ [الكهف: 7-8].

المحور الثالث: تصحيح منهج الفكر يتبين ذلك في توجيه الإنسان إلى أن يحكم بما يعلم، ولا يتعده بما لا علم له به وليدع أمره إلى الله. فيتجلى في استنكار دعاوى المشركين الذين يقولون ما ليس لهم به علم. نجد ذلك في مطلع ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ﴿ [الكهف: 4-5]. والذين لا يأتون على ما يقولون ببرهان. كما نجد منهج تصحيح الفكر في موقف الفتية أصحاب الكهف وهم يقولون: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ [الكهف: 15]. وعندما بعثهم الله بدأوا يتساءلون عن فترة لبثهم في الكهف فرد العالمون منهم علمها لله حتى لا يختلفوا فيما بينهم ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾. وفي ثنايا القصة إنكار على من يتحدثون عن عددهم رجماً بالغيب دون علم وبينة ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامُنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۚ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهَرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 22].

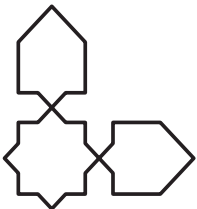
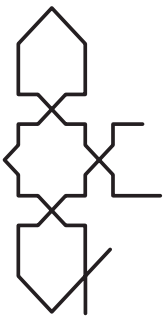
وفي قصة موسى مع العبد الصالح عندما يكشف له عن سر تصرفاته التي أنكرها عليه موسى يقول: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ، عَنَّ أَمْرِي﴾ ويرجع الأمر فيها لله عز وجل. ففضية العمل أو القول بدون حجة أو دليل شرعي واضح -عمل غير مقبول بل ومرفوض وإلا عمت الفوضى الفكرية.





خواطِر وتأمّلات

في سورة الكهف



الخاطرة الأولى: القرآن الكريم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۖ ﴿٢﴾ مَّا كَثِيرٌ فِيهِ

أَبَدًا ﴿الكهف: 1-3﴾



﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾

سبحانه وتعالى يحمد نفسه المقدسة على إنزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه، فإنه أعظم نعمة أنعمها الله على أهل الأرض إذ أخرجهم به من الظلمات إلى النور ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: 1].

﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ حيث جعله واضحاً بيناً جلياً نذيراً للكافرين، بشيراً للمؤمنين، لم يجعل فيه اعوجاجاً ولا زيغاً ولا ميلاً، وهو ليس متناقضاً مختلفاً، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]. ﴿قِيمًا﴾ أي كتابٌ مستقيم. مستقيم الحكمة لا خطأ فيه، ولا فساد، ولا اعوجاج فيه، ولا اختلاف، ولا ميل عن الحق، بل يهدي إلى صراط مستقيم.

فائدة: وهنا فائدة تبرز وهي الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة، وفي أحدهما غنى عن الآخر وهذا أسلوب بياني يفيد التأكيد الرباني الذي لا يجعل مجالاً للشك.

﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾

أي لمن خالفه، وكذبه، ولم يؤمن به له عقوبة عاجلة في الدنيا وآجلة في الآخرة. وقوله سبحانه ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ أي من عند الله الذي لا يعذب عباده أحد، ولا يوثق وثاقه أحد.

﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

أي: بهذا القرآن العظيم يبشر المصدقين بالله ورسوله الذين يعملون الصالحات وهو العمل بما أمر الله به، والانتها عما نهى الله عنه - أن لهم أجراً حسناً.

﴿مَّا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾

يبشر المؤمنين بدار الخلد لا يموتون فيها.

أيها الناس...

هذا الكتاب كتاب الله نقرؤه

مصدق الوحي فينا أمرناهي

ولعل أول صفة وصفها المولى لكتابه العزيز جاءت في أوائل سورة البقرة بأنه حق لا مزية فيه ولا شك: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2].. والله بحكمته ورحمته أنزل كتابه في شهر رمضان المبارك في ليلة القدر

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 1].. تبياناً لكل شيء ﴿وَنَزَّلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89]..

إنه المعجزة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ ٤١ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿[فصلت: 41-42].. إنه الكتاب الذي أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴿كَتَبْنَا أُحْكَمَتَآئِنُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1]..

ويسره سبحانه للذكر والتلاوة والهداية ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ﴾ [القمر: 17].. ولم يفرط الله عز وجل فيه من شيء كما قال سبحانه: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38]. وأمر بتدبره والوقوف على آياته ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أَلْوَالَآلِيبِ﴾ [ص: 29]..

وهو الكتاب الذي فيه عزتنا وخلصنا من جميع أزماتنا ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: 10].. وهو الكتاب الذي جاء معجزة للرسول ﷺ ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: 88]..

وهو الكتاب الوحيد الذي زكنا وجعلنا خير أمة أخرجت للناس ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110].. وهو الكتاب الذي يهدي إلى الرشد في أمور الدين والدنيا ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 9]..

وهذا الكتاب شرف لمن يحمله بقوة ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: 44].. وهذا الكتاب جعله الله عربياً ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ

تَعْقُلُونَ ﴿[يوسف: 2]﴾. وقد جعل الله الهلاك الدنيوي والأخروي قرين من أعرض عنه ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ ﴿[طه: 124]﴾. وهذا الكتاب جعله الله حقيقاً بأن تخشع له القلوب، وترقّ له الأفئدة ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّتَصِّدَعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضِرُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿[الحشر: 21]﴾.

وقد حث الرسول ﷺ على تعلم القرآن وتعليمه، حيث قال:

"خيركم من تعلم القرآن وعلمه" [رواه البخاري].

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد يعني في القبر، ثم يقول: "أيهما أكثر أخذاً للقرآن؟" فإذا أُشير له أحدهما قدمه في اللحد. [رواه البخاري].

وهنا رسالة شكر وتقدير إلى جميع الجمعيات في العالم، والتي تهتم بتدبر القرآن الكريم وتفسيره وعلومه ولا سيما تلك الموجودة في البلاد غير الإسلامية. نقول لهم جزيتهم خيراً، وبوركت جهودكم الجبارة. أنتم على ثغر مهم من ثغور هذا الدين العظيم.

والقرآن الكريم هو الذي لا تزيع به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، فهو بحر العلم والفكر والحكمة، يعطيك زيادة كلما طلبت منه معرفةً. وصدقاً من قال:

يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حَسَنًا

إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

وما أجمل ما قاله الخليفة علي بن أبي طالب عن كتاب الله: "فيه خبر ما

قبلكم ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله."

واستمع حفظك الله إلى ما قاله الكفار على لسان الوليد بن المغيرة. يقول المفسرون: مر الوليد بالنبي ﷺ وهو يصلي ويقرأ القرآن، فاستمع لقراءته وتأثر بها، فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه من بني مخزوم فقال: "والله لقد سمعت من محمد أنفأ كلاماً، ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يُعلى عليه".

ومن عجائب القرآن الكريم أن جعله الله حجاباً وسترًا من المشركين. يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: 45]. عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لما نزلت سورة المسد ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: 1] أقبلت العوزاء أم جميل بنت حرب ولها وَلَوْلَةٌ وفي يدها فِهْرٌ (أي مقدار ملء الكف) حجارة وهي تقول: أما والله إني لشاعرة. ثم قالت:

مُذَمَّمًا عَصِينَا... وَأَمْرَهُ أَبِينَا... وَدِينَهُ قَلِينَا

والنبي ﷺ قاعد في المسجد ومعه أبوبكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فلما رآها أبوبكر قال: يا رسول الله، لَوَتَّحِيتِ عَنْهَا لئلا تُسْمِعَكَ ما يؤذيك، فإنها امرأةٌ بذيّة. لقد أقبلت وأنا أخاف أن تراك، قال رسول الله ﷺ: "إنه سيحال بيني وبينها. إنها لن تراني" وقرأ قرآنًا فاعتصم به كما قال فلم تره. وقرأ قول الله تعالى في سورة الإسراء ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: 45]. فوقفت على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولم تر رسول الله ﷺ

فقالت: يا أبا بكر، أخبرت أن صاحبك هجاني فقال: لا ورب هذا البيت ما هجاك. قال: فولّت وهي تقول: قد علمت قريش أنني ابنة سيدها.

وقال كعب رضي الله عنه: كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يستتر من المشركين بثلاث آيات: الآية التي في الكهف ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: 57] والآية التي في النحل ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ [النحل: 108]، والآية التي في الجاثية ﴿أَفَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غَشَاةً﴾ [الجاثية: 23]. فكان النبي صلّى الله عليه وسلّم إذا قرأهن يستتر من المشركين.

قال كعب رضي الله عنه: فحدثت بهن رجلاً من أهل الشام، فأتى أرض الروم فأقام بها زماناً، ثم خرج هارباً فخرجوا في طلبه فقرأ بهن فصاروا يكونون معه على طريقه ولا يبصرونه. قال الثعلبي: وهذا الذي يروونه عن كعب حدثت به رجلاً من أهل الري فأسر بالديكلم، فمكث زماناً ثم خرج هارباً فخرجوا في طلبه فقرأ بهن حتى جعلت ثيابهم لتلمس ثيابه فما يبصرونه!

يقول الإمام القرطبي في تفسيره: ويزاد إلى هذه الآي أول سورة يس إلى قوله ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 9]. فإن في السيرة في هجرة النبي صلّى الله عليه وسلّم ومقام علي رضي الله عنه في فراشه حين خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأخذ حَفْنَةً من تراب في يده، فأغشى الله عز وجل أبصارهم فلا يروونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من سورة يس: ﴿يَسْ ١﴾ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٥﴾ [يس: 1-5]. إلى قوله ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا

يُبْصِرُونَ ﴿[يس: 9]﴾. حتى فرغ رسول الله ﷺ من هذه الآيات، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب.

ويكمل الإمام القرطبي حديثه قائلاً: ولقد اتفق لي ببلادنا الأندلس بحصن منشور من أعمال قرطبة مثل هذا. وذلك أنني هربت أمام العدو وانحزت إلى ناحية عنه، فما لبث أن خرج في طلبي فارسان وأنا في فضاء من الأرض قاعد ليس يسترنني عنهما شيء، وأنا أقرأ أول سورة يس وغير ذلك من القرآن؛ فعبرا عليّ ثم رجعا من حيث جاءا وأحدهما يقول للآخر: هذا دَيْبُلُهُ؛ يعنون شيطاناً. وأعمى الله عز وجل أبصارهم فلم يروني، والحمد لله حمداً كثيراً على ذلك!

وأنا أكتب حول هذه النقطة المهمة عادت ذاكرتي بي إلى عام 1990م عندما ذهبت في حملة إغاثة عاجلة إلى مسلمي أراكان على حدود بورما وأحمل معي مبلغ مئة ألف دولار نقداً لشراء المواد الغذائية والأدوية اللازمة لمهاجري أراكان. ونظراً لصعوبة وصول المواد الغذائية والطبية والمالية إليهم مباشرة اضطررت أنا وصاحبي محمد علي إلى السفر بواسطة الطائرة والممرور عبر مطار بنجلاديش الدولي فخاف صاحبي من تفتيش رجال الجمارك ومساءلة رجال الأمن. فقلت له مطمئناً لا تحزن جئنا لهدف نبيل وعمل إنساني شريف فتوكل على الله ودعنا نقرأ سوياً الآيات الأولى من سورة يس ونكرر عدة مرات قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكَّاءً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 9]. وبالفعل وبفضل من الله وحده لا شريك له مررنا بكل سهولة ويسر على أجهزة التفتيش ولم نوقف من أحد. وقد استغرب كثيراً الأخ، هومين كبير، ممثل جمعية الشارقة الخيرية في بنجلاديش والذي كان ينتظرنا خارج المطار عندما أخبرته بالقصة.





الخاطرة الثانية: الإنذار الشديد



﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۖ﴾



الإنذار لمن؟

من هم؟ ومن هذا الذي استحق الإنذار من الجبار؟ ومن الذي استحق غضب الرحمن الرحيم؟ الجواب: كل من تجرأ وادعى لله ولداً من كفار قريش وغيرهم من المغضوب عليهم ومن الضالين، كفار قريش قالوا الملائكة بنات الله. كما قال الله عنهم: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: 57]. أما اليهود والنصارى فحدث ولا حرج. اليهود قالوا عزير ابن الله، والنصارى قالوا المسيح ابن الله. كما أخبر سبحانه عنهم في سورة التوبة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَسَتْ لَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّكَونَ﴾ [التوبة: 30].

ملاحظة: الإنذار في أول السورة في قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ﴾ عام، والثاني في قوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ خاص فيمن قال لله ولداً. والله أعلم.



﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾

ما لهؤلاء القائلين هذا القول الباطل بالله، إنه لا يجوز أن يكون له ولد من علم، فلجهلهم المفرط وتقليدهم للآباء. ومواريث السماء متفقة على أن الله واحد، وكل ماعداه مخلوق له، ليس لله بنون ولا بنات، الله ليس لأحد والداً. ومن قال غير ذلك فهو يهرف بما لا يعرف.

﴿وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾

يقول: كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم، وكأنهم تواصلوا بهذا الضلال المبين والكذب الذي تتفطر منه السماوات والأرض. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾

أي عظمت كلمتهم، وهي قولهم: اتّخذ الله ولداً. ذلك أن نسبة الولد إلى الله سبحانه أقبح أنواع الكفر. وفيه معنى التعجب، كأنه قيل: ما أكبرها كلمة. أما ذكره سبحانه وتعالى للكلمة بأنها تخرج من أفواههم فهي تفيد استعظام اجترائهم على التفوّه بها وإخراجها من أفواههم، فإن كثيراً مما يوسوس به الشيطان في قلوب الناس ويحدّثون به أنفسهم من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا بها ويطلقون بها ألسنتهم، بل يكظمون عليه خوفاً من إظهاره، فكيف بمثل هذا المنكر. فهل تأملت حفظك الله هذا التعبير الرباني الرائع؟ ثم زاد سبحانه في تقبيح ما وقع منهم فقال: ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ أي: ما يقولون إلا كذباً لا مجال للصدق فيه بحال.

سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً...

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " قال الله تعالى: كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي، فقلوه: لن يعيدني كما بداني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي، فقلوه: إن لي ولداً فسبحاني أن أتخذ صاحبة أوولداً" [رواه البخاري].

وهنا وقفة لا بد منها لكل مسلم وخاصة شباب الدعوة، فالنصارى اليوم يدّعون أننا نسب عيسى عليه السلام عندما نقول إنه عبدالله ورسوله! فهم يدّعون أن عيسى ولد من غير أب بإجماع أهل الأرض فكيف تقولون يا مسلمون أن الله ليس بأب لعيسى؟! والجواب: يا شباب نقوله باختصار شديد تلك والله شبهة قديمة حديثة لأن هذه الشبهة قيلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل. وإليكم هذه القصة:

لما قدم وفد نصارى نجران، وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر عيسى، قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم: ما لك تشتم صاحبنا؟ قال: وما أقول؟ قالوا: تقول إنه عبد قال: أجل إنه عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب؟ فإن كنت صادقاً فأرنا مثله فأنزل الله آيات بينات تذهل العقول ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٥١﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: 61-59].

لهذا وجب التنبيه والحذر في حوارنا مع النصارى وخاصة أولئك القوم الذين يتهافتون إلى مؤتمرات حوار الأديان والثقافات! نقول لهم بكل بساطة يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ ٥١﴾ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٥٢﴾﴾ [البقرة: 120].

يا أهل الكتاب...

يا يهود، يا نصارى، يا كفار الأرض، أليس منكم رجل رشيد؟ لقد بلغتم من التقدم العلمي والتقني والمهني ما الله به عليم. حتى أبهرتم العالم أجمع بصناعاتكم وآلاتكم، ولكنكم فتنتم أنفسكم بقولكم على الله غير الحق. تالله لتسألن عما كنتم تفترون. فإلى متى؟ ألا تتوبون إلى الله وتستغفرونه والله غفور رحيم؟

وإن كانت طائفة من الجن اهتدت منذ أول وهلة سمعت فيها القرآن الكريم ونفت بشدة أن يكون لله ولد ورجعت إلى قومها منذرة قائلة: ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ أُسْمِعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدَىٰ إِلَى الرُّشْدِ فَآَمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝﴾ [الجن: 1-3]. فأين أنتم يا من تدعون الحكمة والإصغاء للطرف الآخر. والله الذي لا إله إلا هو لو أصغيتم حق الإصغاء إلى نداء الفطرة الداخلي وحكمتم عقلكم وقلوبكم لما ادعيتم على الله الكذب. ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَاَلَّذِينَ ذَاتَ أَمْنٍ بِرَبِّهِمْ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝﴾ [الأعراف: 157].

يا أهل الكتاب...

لم أجد أجمل من قول الله سبحانه وتعالى لأقدمه لكم كنصيحة خالصة من صميم قلبي في هذا المقام وهي آية من كتابنا المقدس، القرآن الكريم، تقع في سورة النساء. يقول ربنا تبارك وتعالى موجهاً الخطاب لكم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى

أَبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ [النساء: 171].

يا شباب الدعوة...

وأنتم يا شباب الدعوة والإرشاد هل شعرتُم بمدى تقصيركم تجاه ربكم ودينكم...؟ نحن نعيش في القرن الواحد والعشرين ويوجد هناك أكثر من ثلاثة بلايين شخص في العالم يشتمون الله ويشركون به فهم يدَّعون أن لله عز وجل ولداً. سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً. إلى متى هذا الخمول والاكتفاء بالتفرج؟ إلى متى هذه السلبية؟ إلى متى هذا الحماس غير المتزن؟

هيا لنضع يدنا بيد بعض ولنعمل معاً ليل نهار لخدمة هذا الدين، ونشر العدل والتسامح بين الشعوب والقبائل. ولنذكر بعضنا بعضاً بقول الحبيب محمد ﷺ: "لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النَّعَم" [متفق عليه].

هيا إذاً لتعاون مع المراكز الإسلامية المنتشرة هنا وهناك لا سيما تلك الموجودة في أوروبا وأمريكا وروسيا لإظهار دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال مع أهل الكتاب بالتّي هي أحسن. فهل من مجيب؟

والله يا شباب الدعوة تذكّرت وأنا أكتب هذه الأسطر ما ذكره الله تعالى في سورة مريم ولم أستطع التعليق أكثر، وآثرت أن أكتب كلام الله لتدبره وأترك القلم جانباً. لأنني مهما كتبت وكتبت فلن أستطيع أن أصف عظم الذنب

وعظم الألم كما يصفه الله الواحد الأحد الفرد الصمد. يقول سبحانه لكل معاند: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۚ وَمَا يُنْبِغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩١ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۚ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٢ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ۝٩٣﴾ [مريم: 88-95].

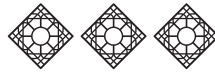




الخاطرة الثالثة: الحرص على الدعوة



﴿فَلَعَلَّكَ بَخْعُ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ ﴿٦﴾



يا لروعة القرآن يا له من تعبير رباني عجيب فكلمة [باخع] في لغتنا العربية تعني مُهلك. شبه سبحانه وتعالى نبينا محمد ﷺ ومن يدعوهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الحزن والأسف على توليهم، برجل فارقه أحبته وأعزته فهو يتساقط حشرات على آثارهم ويبخع نفسه وجداً عليهم وتلهفاً على فراقهم.

تأمل. هنا يعاتب الرحمن الرحيم حبيبه محمد ﷺ عتاباً ربانياً جميلاً على حزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم، وهذا تسلية من الله تعالى لرسوله الكريم في حزنه على المشركين لتركهم الإيمان وبعدهم عنه كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: 8]. وقوله في موضع آخر من القرآن: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النمل: 70]. أي: بلِّغ ولا تحزن لتكذيب مكذب، قد كان فؤاده يطفح بالكآبة وهو يدعو إلى الله على بصيرة فيفاجأ بانصراف المتكبرين، وتهجم المكذابين.

فالأصل في الدعوة إلى الله عدم الكره، والتسرع للنتائج، وعدم الحرص الشديد المصحوب بالعاطفة الزائدة على هداية الناس. فالهادي هو الله



﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [٥٦]
 [القصص: 56]. والمطلوب من الداعي إلى الله أن يبلغ رسالة الله بالحكمة
 والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن وهي أساليب تؤدي غالباً
 إلى فتح قنوات حوارية مع الطرف الآخر والتي غالباً ما تؤدي إلى هداية
 الناس ولا سيما إذا صاحبته الكلمة الطيبة واللين كما قال تعالى:
 ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83].

وهنا وقفة...

أسألك أيها الشاب المسلم بالله العلي العظيم وأرجو أن تكون في قمة الصدق
 مع نفسك قبل أن تجيب عن السؤال التالي: هل أنت باخع نفسك على
 الكفار ليؤمنوا بالله العلي العظيم؟.. هل يضيق صدرك على إصرارهم على
 الكفر والإلحاد وخاصة من يعيش منهم في بلاد المسلمين؟.. وهل تعلم أن
 هناك أكثر من ثلاثة بلايين ونصف البليون كافر ومشرِك على وجه الأرض؟..
 وهل تنام قريح العين والله عز وجل يقول في كتابه العزيز من سورة آل عمران:
 ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [١٥]
 [آل عمران: 85].





الخاطرة الرابعة: حقيقة الحياة الدنيا



﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿



هنا لا بد أن نلتقط أنفاسنا ونقف وقفة تأمل وتدبر عند هذه الآية الكريمة المهمة، وهي أن حقيقة الحياة وما فيها من زخرف وزينة إنما هي اختبار من الله سبحانه للناس أيهم أتبع لأمره وأعمل بطاعته. وتأكيد هذا المعنى جاء في موضع آخر من القرآن في سورة الملك، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [الملك: 3]. فلا بد أن نحرص كل الحرص على فهم الحياة الدنيا خير فهم وأخذ الحيطة والحذر من أن تأسرنا بسحرها ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَطَرَفَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىٰ أَتْلُهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْكُرُونَ ﴾ [يونس: 24]. وعن المُستورد بن شداد (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قال: قال رسول الله (ﷺ): "ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعة في اليم، فلينظر به ترجع؟" [رواه مسلم].

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴾ [الكهف: 7].



معنى هذه الآية المتصدرة لهذه الخاطرة يفهم من قول رسول الله ﷺ: "إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء". وقوله ﷺ: "إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا" قال: وما زهرة الدنيا؟ قال: "بركات الأرض" [اخرجهما مسلم]. والمعنى: أن الدنيا مستطابة في ذوقها معجبة في منظرها كالثمر المستحلى المعجب المرأى، فابتلى الله بها عباده لينظر أيهم أحسن عملاً. ولهذا كان عمر يقول فيما ذكر البخاري: اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا، اللهم إني أسألك أن أنفقه في حقه. فدعا الله أن يعينه على إنفاقه في حقه. وما قام به عمر يقوم به كل من عرف المعنى الحقيقي للحياة وما تخرج من زينة والناجح من علم وعمل وعرف معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَنقُوتُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [32].

﴿وَأِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ (٨)

يقول عزّ ذكره: وإنا بكل تأكيد لمخربوها بعد عمارتها بما جعلنا عليها من الزينة، فمصيرها صعيداً جرزاً يعني مثل أرض بيضاء لا نبات عليها ولا زرع ولا غرس. كأن لم تغن بالأمس.

باختصار شديد نقول عند هذه الخاطرة: هذه الآية رسالة واضحة من المولى عز وجل إلى كل من أسرته الحياة بلذتها وحلاوتها ونسي أن يحرث للآخرة ليعلم حقيقة الحياة ونهايتها المحتومة فوجب الانتباه والوقوف عند هذه الآية طويلاً... وتأمل حفظك الله قول الشاعر:

ألا إنما الدنيا كأحلامٍ نائمٍ
وما خير عيشٍ لا يكونُ بدائمٍ
تأمل إذا ما نلت بالأمسِ لذةً
فأفنيتهـا هل أنت إلا كحالمٍ

كما جاءت آيات عدة فيها توجيهات سماوية تنبه على خطورة الانخداع الباهر للحياة دون العمل للآخرة وما أذكره في هذا المقام قوله تعالى في سورة الحديد ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: 20].

نصيحة...

وهنا نصيحة من القلب إلى كل أهلي وأحبتي في الإمارات الحبيبة فقد فُتحت لنا الدنيا وجاءنا الناس من كل فج عميق، ونعيش في ثورة وثروة العقارات والأسهم، وما سببته من طمع وجشع في قلب الكثير من الناس، وما سببته من غلاء فاحش في كل المواد بما فيها المواد الأساسية مثل المواد الغذائية، والنتيجة...! الكل يصيح همًّا وغمًّا، ضيقًا وضجرًا، كما نسمع ونشاهد على برامج البث المباشر وبدأت - وأقولها بكل حرقة وأسف - تظهر آثار سلبية فالغني منا يريد المزيد وإن كان له وادٍ من مبانٍ وعقارات، والفقير يريد العيش بأي صورة كانت وإن تخلى عن بعض مبادئه وامتدت يده للحرام بحجة الحاجة! والنتيجة المحزنة...! بدأنا نأكل أموالنا بيننا بالباطل والله المستعان. فيجب ألا نغتر بناطحات السحاب، والجزر الصناعية، والخيران،

ومراكز التسوق التي بدأنا نتحدى العالم بها فلا بد من وقفة محاسبة مع النفس، والبحث عن ميزان نقيّم به زخرف الحياة الدنيا والعمارة التي يريدّها الله عز وجل منا، ولنا في الأمم السابقة والمجاورة عبرة وعظة. يقول لبيد:

فاقنع بما قسم المليك فإنما

قسَمَ المَعاش بيننا علأُها

واللبيب بالإشارة يفهم.

يا أحبتي: يقول الرسول ﷺ: "من كانت الآخرة همّه جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كانت الدنيا همّه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له، فلا يمسي إلا فقيراً، ولا يصبح إلا فقيراً. وما أقبل عبد على الله بقلبه إلا جعل الله قلوب العباد تنقاد إليه بالود والرحمة. وكان الله بكل خير إليه أسرع."

إن هذا الحديث شفاء لما في الصدور من جنون الشره، والتعلق بالحطام.

وأنا أختتم هذه الخاطرة المهمة جال بخاطري مؤمن آل فرعون وهو يخاطب قومه ويذكرهم بحقيقة الحياة الدنيا قائلاً: ﴿يَقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ۚ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [غافر: 39-40].





الخاطرة الخامسة: قصة أصحاب الكهف



﴿ أَمَرَ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا ۖ ﴾ ٩ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۖ ﴾ ١٠ فَضَرْبَتَا عَلَى ءَادَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۖ ﴾ ١١ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۖ ﴾ ١٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۖ ﴾ ١٣ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ ؕ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ۖ ﴾ ١٤ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ؕ إِلَهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ ﴾ ١٥ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْسُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ۖ ﴾ ١٦ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُورُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ۖ ﴾ ١٧ وَتَحْسَبُهُمْ أُنْقَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ۖ ﴾ ١٨ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۖ ﴾ ١٩



لا شك أن معرفة أسباب النزول تساعد كثيراً على الفهم لذا أجد من المناسب في هذا المقام وعند هذه الآيات المباركات أن نُذكر بأسباب ذكر المولى عز وجل لقصة أهل الكهف. وهي أول قصة شيقة في هذه السورة المباركة. أدعو الشباب خاصة للوقوف عليها كثيراً. وهي مهداة إلى كل السائرين على درب ذات الشوكة ليتفقهوا في ما جاء فيها من أحكام. روى ابن اسحق في سبب نزول سورة الكهف حديثاً طويلاً خلاصته أن وفداً من قريش أتوا اليهود بالمدينة وقالوا لهم أنتم أهل الكتاب فأخبرونا عن صاحبنا هذا محمد ﷺ فقالت اليهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل فإن لم يفعل فهو رجل متقول فروا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنه كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طوافه قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟؛ وسلوه عن الروح ما هي؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يفعل فهو رجل متقول فانظروا في أمره ما بدا لكم، وأتى الوفد مكة وسألوا رسول الله ﷺ فقال: أخبركم بما سألتكم عنه غدا؛ ولم يستشئ أي: لم يقل إن شاء الله، فانقطع الوحي نصف شهر ثم نزلت سورة الكهف وفيها جواب ما سألوا.

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾

قال الطبري عند هذه الآية: وهوتقرير للنبي ﷺ على حسابه أن أصحاب الكهف كانوا عجباً، بمعنى إنكار ذلك عليه؛ أي لا يعظم ذلك بحسب ما عظمه عليك السائلون من الكفرة، فإن سائر آيات الله أعظم وأعجب بكثير من قصة أصحاب الكهف.

﴿أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾

الكهف: هو الغار الواسع في الجبل، فإن كان صغيراً سمي غاراً. الرقيم: قيل عن ابن عباس إن الرقيم لوح من رصاص كُتب فيه أسماء أصحاب الكهف لما توجهوا عن قومهم ولم يدروا أين توجهوا. وقال كعب والسدي: إنه اسم القرية التي خرج منها أصحاب الكهف.

وقد اختلف أهل العلم في سبب مصير هؤلاء الفتية إلى الكهف الذي ذكره الله في كتابه العزيز، فقال بعضهم: كان سبب ذلك، أنهم كانوا مسلمين على دين عيسى عليه السلام، وكان لهم ملك عابد وثَن، دعاهم إلى عبادة الأصنام ما أنزل الله بها من سلطان، فوقعَت النُّفرة واشتدت الخصومة، فهربوا بدينهم منه خشية أن يفتنهم عن دينهم، أو يقتلهم، فاستخفوا منه في الكهف. فشاء الله أن يجعل من سيرتهم وحياً يتلى إلى آخر الدهر.

الفرار بالدين...

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾



يخبر الله تعالى عن أصحاب الكهف أنهم شباب في مقتبل العمر ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ﴾ فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوه عن سبحانه فهربوا منهم فلجأوا بعد أن تشاوروا إلى غار في جبل ليختفوا عن قومهم، فدخلوه فقالوا: نبئتُ ها هنا، ثم نُصبحُ إن شاء الله فترون رأيكم.

وأرجو أن تقف عند قوله تعالى ﴿أَوَى﴾. ففيها دلالة كبيرة وتعبير جميل، فهي تحمل معنى اللين والحنية والركة والأمان، استمع حفظك الله

إلى قوله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ في سورة الضحى وهو يخاطبه:
﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى: 6].

ولا شك أن هذا من فضل الله ورحمته على الفتية. وخاصة الكهف، ذلك المكان الموحش الذي يفتقر إلى أبسط مقومات الحياة، وفيه الرهبة التي يشعر بها الشخص الساكن وخاصة بالليل عندما يحل الظلام ولا تكاد ترى أطراف أصابعك! والخوف يحيط بك من كل جانب، وجوارحك تتربص بالمجهول، وقلبك تستمع إلى دقاته في ذعر وخوف. ولكن الأمر يختلف حين تتعطل هذه الأشياء بتدخل اليد الربانية الحانية لتطمئن الجوارح، وتنزع الخوف من قلوب الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا. يا لها من رحمة.

فائدة: يقول العلماء العاملون المجاهدون، أهل التوحيد والإيمان: هذه الآية صريحة في الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقربات والأصدقاء والأوطان والأموال خوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من الشدة والمحنة في سبيل الدين. ولنا في رسول الله أسوة حسنة فقد خرج النبي ﷺ مهاجراً بدينه، وكذلك أصحابه، وجلس في الغار. وهجروا أوطانهم وتركوا أرضهم وديارهم وأموالهم، وفارقوا أهاليهم وأولادهم، وقرباتهم وإخوانهم، رجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين الحاقدين.

فسكنى الجبال ودخول الغيران، والعزلة عن الخلق والانفراد بالخالق، وجواز الفرار من الظالم هي سنة الأنبياء صلوات الله عليهم والأولياء. وقد فضّل رسول الله ﷺ العزلة، وفضلها جماعة العلماء لا سيما عند ظهور الفتن وفساد الناس.

والقرآن الكريم فيه من القصص الكثير من هذا الشيء وأذكر هنا قصة واحدة جاء ذكرها في سورة الأخدود (البروج) وهي قصة الغلام. فليراجع القارئ تفسير سورة الأخدود للفائدة.

دعاء الشدة...

﴿رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيَّ لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدًا﴾

لنكمل الحديث عن الفتية حين دخلوا الكهف دعوا الله مخلصين له الدين، سائلين من الله تعالى رحمته ولطفه بهم. في أن يرزقهم رحمة من خزائن رحمته. وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء ويدلهم على طريق الرشd.

وهذه نصيحة إلى كل من يمر بأمر مهم ولا يعرف الخلاص وأين الاتجاه لا بد من الدعاء.. لا بد من التذلل لله وطلب العون منه وحده لا شريك له.. لا بد أن يلجأ إلى الله تعالى بقلب صادق ونية حسنة، ويدعو ويسأل ويقول: ﴿مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أي هب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها وتسترنا ثم يتبع دعاءه بتوسل ﴿وَهَيَّ لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أي وقدر لنا من أمرنا هذا رشداً.. اجعل عاقبتنا رشداً، كما جاء في الحديث عن الحبيب رسول الله ﷺ أنه كان يدعو: " اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ".

وهنا نصيحة أقدمها لإخواننا وأخواتنا في فلسطين والعراق وكشمير وبورما والفلبين وأفغانستان وأبخازيا والشيشان والصومال والبوسنة ومقدونيا، وأينما استضعفوا وأخرجوا من ديارهم بغير حق أن يستغيثوا ربهم في هذه الأيام المباركة من شهر رمضان الكريم، ويدعوا كما دعا إخوانهم أهل الكهف ليزيح

الله عنهم الهم والغم والشدة والضيقة، وليتذكروا أن الدعاء في شهر رمضان له خاصيته وقوته. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186]. فألحوا على الله بالدعاء في هذه الأيام المباركة. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60].

ادعوا أيها الناس ربكم بالخشوع والخضوع والتذلل، وبالإسرار في الدعاء، دون الصياح والصُراخ. ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: 55]. ما من شدةٍ إلا تهون. رحم الله الشافعي حين قال:

إِذَا جَارَ الزَّمَانُ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ

فَإِنَّ الصَّبْرَ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ

فَإِنِ الْيَسْرَ يَأْتِي بَعْدَ عُسْرِ

وَمَا مِنْ شِدَّةٍ إِلَّا تَهْوُونُ

وقبل أن استرسل أكثر حول هذه النقطة والتي تتعلق بالدعاء جال بخاطري هذا السؤال: هل كل من يدعو الله يستجاب له الدعاء؟ الجواب: لا، لأن الإجابة مقيدة بأمر الله كما جاء في سورة الأنعام ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ﴾ [الأنعام: 41]. فتأمل يا من يدعو إلى قوله تعالى ﴿إِن شَاءَ﴾.

وهنا لا بد لي من ذكر حديث جميل يطمئن كل من رفع ويرفع يديه في لحظة ما من حياته ويقول دعوت فلم يستجب لي!!.. الجواب سيجده عند محمد ﷺ في الحديث الذي ذكره الحاكم: " يدعو الله المؤمن يوم القيامة حتى يوقفه

بين يديه فيقول: عبي إني أمرتك أن تدعوني ووعدتك أن أستجيب لك فهل كنت تدعوني؟ فيقول: نعم يا رب. فيقول: أما إنك لم تدعني بدعوة إلا استجبت لك. أما دعوتني يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك؟ فيقول: نعم يا رب. فيقول: إني عجلتها لك في الدنيا. ودعوتني يوم كذا ويوم كذا لغم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر فرجاً. قال: نعم يا رب، فيقول: إني ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا، ودعوتني في حاجة أقضيها لك في يوم كذا وكذا فقضيتها. فيقول: نعم يا رب. فيقول: إني عجلتها لك في الدنيا. ودعوتني يوم كذا في حاجة أقضيها لك فلم تر قضاءها؟ فيقول: نعم يا رب. فيقول: إني ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا. وقال رسول الله ﷺ: " فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا بين له، إما أن يكون عجل له في الدنيا، وإما أن يكون ادخر له في الآخرة قال: فيقول المؤمن في ذلك المقام: يا ليتني لم يكن عجل له شيئاً من دعائه. " [رواه الحاكم].

سرعة الإجابة...

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝۱۱ ﴾

لا شك أن الدعاء سلاح المؤمن وهو مخ العباداة، ومن عرف الله في الرخاء عرفه في الشدة، ومن التزم آداب الدعاء في أوقاته المستحبة جاءه الفرج بسرعة. يقول تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم مَخْرَجًا ۚ ﴾ [النمل: 62]. وهذا ما حدث مع الفتية فعندما توسلوا لله بالدعاء جاءهم الفرج وبدأت المعجزات الربانية بتعطيل الأسباب والمسببات، حيث تجلت قدرته في أهل الكهف فقال: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ ﴾ أي: منعنا نفاذ الأصوات إليها. ألقى سبحانه وتعالى عليهم النوم حين دخلوا

إلى الكهف فناموا بأمن وأمان سنين كثيرة وهم لا يشعرون عما يدور من حولهم من أحداث وأحداث.

البعث...

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لِسُوا أَمَدًا ﴾ ﴿١٢﴾

أيقظناهم من رقدتهم تلك، لنرى أي المختلفين منهم في مدة لبثهم، وكأنه وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في الكهف. لأنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك، وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد طال.

شاء الله عز وجل وأنا أكتب عن فتية أهل الكهف أن أقف وقفة المتأمل المتدبر لكلمة "الكهف" وهي جزء من الجبل. وخلصت إلى أن الإنسان على مر الأزمان والعصور له ارتباط كبير مع الجبال. وجاء ذكر الجبال في الكتاب والسنة بشكل كبير، ولاحظت أن معظم قصص الأنبياء والصالحين ذكرت الجبال فيها، وهي تحمل تارة الرحمة والسلام وتارة تحمل العذاب والشدة. ومن خلال الأسطر التالية سأذكر بعض الوقفات السريعة التي جاءت في الكتاب والسنة وأترك لك أخي القارئ لتبحث أكثر في الكتاب والسنة وترسل لنا ما وجدت على بريدنا الإلكتروني abc@alleem.com.

فأولى وقفاتنا ستكون مع سيد ولد آدم سيدنا محمد ﷺ قبل البعثة حين لجأ إلى جبل النور وتعبّد في غار حراء حيث حُبب إليه الخلاء، والتعبّد لربه، وأنبتته الله نباتاً حسناً. وبعد أن هاجر مع أبي بكر الصديق آوى إلى غار ثور ليتجنب ملاحقة كفار قريش له. وعندما ذهب بدعوته إلى مدينة الطائف ولم يقبل وطرده أهلها أرسل سبحانه وتعالى إليه ملك الجبال، يستأمره أن يطبق

الأخشبين عليهم. فغار حراء كان للخلوة والتعبد. هل لاحظت أخي: غار ثور للإيواء والأمان. جبال الطائف للدفاع والحماية.

وهذا نوح عليه السلام عندما آذن الله العذاب على قومه وغرقت الأرض بالماء وحاول ابنه أن يلجأ إلى أعلى قمة في الجبال للنجاة من الغرق ولكن لا عاصم من أمر الله، جاءه العذاب وهلك مع الهالكين. وعندما أمر الله سبحانه وتعالى الأرض أن تبلع ماءها والسماء تمسكه استقرت السفينة على الجودي وهو اسم لجبل.

ومن منا يستطيع أن ينسى قصة كلیم الله موسى عليه السلام عندما سار بأهله ليلاً باتجاه مصر وأصابه وأهله البرد الشديد آنس ناراً قرب جبل الطور فترك أهله ليستطلع الأمر، ومعرفة مصدر الضوء، وكانت المفاجأة كلمه الله وحمله تبليغ الرسالة. وعندما عصاه قومه رفع الله الجبل على رؤوسهم كأنه ظلة.

وهذا سيدنا داود أمر الله سبحانه وتعالى الجبال أن تسبح معه كما جاء في سورة ص ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: 18].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له: جمندان فقال: "سيروا هذا جمندان سبق المفردون". قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: "الذاكرون الله كثيراً والذاكرات".

ووجه دلالة هذا الحديث: أن رسول الله ﷺ ربط بين الجبل وذكر الله.

كما يجب ألا ننسى قصة ذي القرنين وقيامه بالردم بين الجبلين لحجب شر قوم يأجوج ومأجوج عن العالم.

وقد احتلت الجبال مساحة لا بأس فيها من مشاهد يوم القيامة ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: 105].

قصة أصحاب الكهف...

﴿ تَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾

﴿ تَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾

والمقصود هنا: نحن يا محمد نقص عليك خبر هؤلاء الفتية الذين أووا إلى الكهف بالحق، يعني: بالصدق واليقين الذي لا شك فيه. والقرآن الكريم نزل بالحق ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الزمر: 2].

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ ﴾

من ها هنا شرع المولى سبحانه في بسط القصة وشرحها، فذكر الله تعالى أنهم فتية وهم الشباب في مقتبل العمر، هم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين عتوا وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله ﷺ شباباً، وأما المشايخ من قريش، فعامتهم بقوا على دينهم ولم يُسلم منهم إلا القليل.

وهذه القصة رسالة واضحة إلى كل من يريد إصلاح الخلل الموجود في الأمة الإسلامية لا بد من التركيز وبذل الجهد على الشباب، لا اليأس من إصلاحهم كما يصيح البعض أن الرهان على الشباب رهان خاسر لا سيما وأن الحضارة الغربية تحيط بهم إحاطة السوار بالمعصم!

﴿ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾

استدل بهذه الآية وأمثالها غير واحد من الأئمة كالبخاري وغيره ممن ذهب إلى زيادة الإيمان وتفاضله وأنه يزيد وينقص، كما قال سبحانه في سورة محمد:

﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقُولُهُمْ﴾ ﴿١٧﴾ [محمد: 17].

لطيفة: ومن لطائف ما وجدت في كتب التفسير وأنا أكتب عن تفسير هذه الآية ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ ما ذكره السُّدِّي حيث يقول: زادهم هُدًى بكلب الراعي حين طردوه ورجموه مخافة أن ينبح عليهم وينبّه إليهم؛ فرفع الكلب يديه إلى السماء كالداعي فأنطقه الله، فقال: يا قوم لم تطردوني، لم ترجموني لم تضربوني فوالله لقد عرفت الله قبل أن تعرفوه بأربعين سنة؛ فزادهم الله بذلك هُدًى... سبحان الله ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء: 44].

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾

وصبرناهم على مخالفة قومهم ومدينتهم ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة، فإنه قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم. فسبحان من يهدي من يشاء.

وهنا دعوة للشباب فعند الإخلاص وصدق اليقين والتضرع لله، وسلوك طريق الهداية فإن الله سبحانه يكرم بأمرين اثنين:

(1) زيادة في الهدى والتقوى.

(2) ربط على القلب لتثبيتته على الحق.

فائدة: يقول الشافعي في شأن الإخلاص لله تعالى والثناء عليه: أن تعلم أن الله تعالى واحد لا شريك له فرد لا مثل له، صمد لا ند له، أزلي قائم، أبدي دائم، لا أول لوجوده، ولا آخر لأبديته، قيوم، لا يُفنيه الأبد، ولا يغيّره الأمد، بل هو الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، متنزه عن الجسمية، ليس كمثله شيء، وهو

فوق كل شيء فوقيته لا تزيده بعداً عن عبادته، وهو أقرب إلى العبيد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد، وهو معكم أينما كنتم.

قول الحق...

﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُو مِن دُونِهِ ۚ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ (١٤)

﴿إِذْ قَامُوا﴾

بين يدي الحاكم الجبار وقفوا وقفة رجل واحد وعلى لسان واحد، من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم، وأعلنوا عقيدة التوحيد الخالص.

﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُو مِن دُونِهِ ۚ إِلَٰهًا﴾

يحتمل أن يكون هذا وصف مقامهم بين يدي الملك الكافر كما تقدّم، وهو مقام يحتاج إلى الربط على القلب حيث خالفوا دينه، ورفضوا في ذات الله هيئته. وهي بلا شك من أشد أنواع الجهاد في سبيل الله قول الحق عند سلطان جائر. لطيفة: وموقف الفتية من الكفر والشرك يذكرنا بموقف مؤمن آل فرعون وهو يقول: ﴿تَدْعُونِي لَأُكْفِرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ ۚ مَا لِيَ بِهِ ۚ عَلِمْتُ أَنِّي ادْعُوكُم إِلَىٰ الْعَزِيزِ الْغَفَرِ﴾ (٤٢) [غافر: 42].

﴿لَّقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ (١٤)

قول ذو شطط، وهو الغلو والإفراط في الظلم والإبعاد فيه، من شط: إذا بعد. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَاقُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ (٤) [الجن: 4].

سبب العزلة والمفارقة...

﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ ﴿١٥﴾

يقول الفتية: ما كان لنا لنخالف قومنا ونتركهم ونترك رغد العيش والراحة فلا عاقل يرضى بذلك، ولكن هؤلاء قومنا أشركوا بالله شركاً واضحاً لا رجعة فيه إلى الحق المبين، واتخذوا من دونه سبحانه وتعالى آلهة لا تنفع ولا تضر. والشرك من الكبائر التي لا يغفرها الله عز وجل أبداً ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٤٨﴾ [النساء: 48].

وهم في هذا الموقف يسألون قومهم في تعجب: هلا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه من شرك دليلاً واضحاً صحيحاً إن كانوا صادقين في دعواهم؟ وكأنما لسان حالهم يقول:

فيا عجباً كيف يعصى الإله

أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية

تدلّ على أنه الواحد

قرار الهجرة...

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ﴾

تشاؤروا واتفقوا وقال بعضهم لبعض، حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم: وإذا فارقتموهم وخالفتموهم بدينكم في عبادتهم غير الله، ففارقوهم أيضاً بأبدانكم. لابد من الهجرة من بيئة الكفر إلى بيئة الإيمان.. بيئة يحفها الرحمن وتقود إلى الجنان.. بيئة تحتاج إلى صبر وتضحية وعزيمة صادقة.. بيئة تحتاج إلى صفاء ذهن وتخطيط استراتيجي. وهي قمة التوكل على الله عز وجل وهذه الوقفة تذكرنني بموقف نبي الله هود عليه السلام وهو يجادل قومه قائلاً: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: 56].

ولكن أين الأمان؟ أين أرض الهجرة؟ إلى الكهف! نعم الكهف! سبحان الله كهف في جبل يفرج الهم، ويزيل الغم، ويشرح النفس..؟ كهف لا توجد فيه مقومات الحياة وحاجاتها ينير القلب ويهدي إلى الحق..؟ كهف مساحته لا تتجاوز عدة أمتار مربعة يصبح أرضاً صالحة للهجرة؟ نعم، فهم على يقين بأن الله سيجعل بعد عسر يسراً.

ولكن أي كهف؟ وأين يقع؟ وما هي مواصفات هذا الكهف؟ لم يخبرنا المولى عز وجل بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض، إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالاً. وبعض المخطوطات الحديثة تشير إلى وجوده في الأردن. ونحن نقول: الله أعلم بأي بلاد الله هو، ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه. وهذا لا يعني ألا نجتهد ونبحث أين يقع في الأرض خاصة وأن بعض صفات هذا الكهف ذكرها الله في ثنايا القصة.

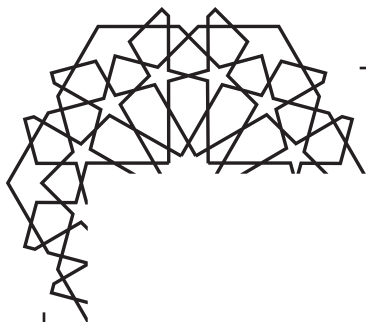
نتائج الهجرة...

﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرَفَقًا﴾ (١٦)

والمقصود من الآية: أي يبسط عليكم رحمة يستركم بها من قومكم. وتجدون لذتها في قلوبكم ويهيئ لكم من محنتكم مخرجاً كريماً. وذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه حق التوكل، وأخذوا بالأسباب مع نصوع يقينهم. وصدق الله حيث يقول عمن يخرج من بيته مهاجراً في سبيله ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: 100]. تقول كتب التفسير: تطلبهم الملك، فيقال إنه لم يظفر بهم وعمى الله عليه خبرهم كما فعل بنبيّه محمد ﷺ، وصاحبه الصديق حين لجأ إلى غار ثور، وجاء المشركون من قريش في الطلب فلم يهتدوا إليه مع أنهم يمرون عليه، وعندها قال النبي ﷺ حين رأى جزع الصديق في قوله: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا، فقال: "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟".

وجاء التصوير القرآني الجميل لموقف الصديق المتوتر بقوله سبحانه: ﴿إِلَّا نَنْصُرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَسْفَلًا وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٤٠)

[التوبة: 40]. صلى الله عليك وبارك يا حبيبي يا رسول الله.



من آيات الله في الكهف لأهل الكهف

الآية الأولى: حركة الشمس



﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾

وهنا تبرز لنا بعض مواصفات هذا الكهف وخاصة علاقته بالشمس ودورها. هذه الآية قد تكون مفتاحاً لعلماء الآثار للبحث عن موقع هذا الكهف فقد ذكر المولى عز وجل فيها حركة الشمس به والفجوة التي بداخله.

بدأت آيات الله ومعجزاته على أهل الكهف، فعندما تشرق الشمس في الصباح تزاور أي تميل وتتنحى عن كهفهم، وإذا جاء وقت المساء وغربت الشمس تقرضهم بجزء من أشعتها، وهم في فجوة من الكهف لا يشعرون بالشمس وأشعتها، حتى لا يشعر ماؤُ بأن في الكهف أحداً. وهذه من آيات الله ومعجزاته الحانية على الفتية. فعليك أن تتخيل التحكم الرباني في درجة حرارة الكهف وكمية نفاذ أشعة الضوء. وأترك المجال هنا لعلماء الفيزياء والعلوم لشرح أهمية هذه النقطة العلمية على حياة الإنسان. ونحن بمركز الليم للمعرفة نرحب بمشاركاتهم العلمية على بريدنا الإلكتروني: abc@alleem.com.



الهداية...

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَحْدِلْهُ، وَلِيَأْمُرْشِدًا﴾

سبحان الله العظيم جاءت هذه الآية بين آيات الله وعجائبه في أهل الكهف وهي تأكيد على مبدأ الهداية والهادي هو الله سبحانه وتعالى فمن يرد الله به خيراً يشرح صدره لطريق الحق ويهديه سواء السبيل. يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٢٥﴾ [الأنعام: 125].

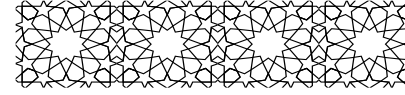
أخي: هناك العديد من الآيات القرآنية التي تؤكد هذا المعنى ومنها قوله تعالى لرسوله الكريم: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ [القصص: 56].

فكل من يجد نفسه على طريق الهدى فليحمد الله فإنها والله نعمة عظيمة لا يعلم قدرها إلا من تذوق طعم الإيمان. ومن أتبع نفسه الهوى وركب سفينة شيطانه فلن يجد الله معه وسيضله عن سواء السبيل. يقول سبحانه تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٢﴾ [الزمر: 22].

يقول الإمام الزمخشري في تفسيره الكشاف لهذه الآية الكريمة: ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم، فلطف بهم وأعانهم، وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة وأن كل من سلك طريق المهتدين الراشدين فهو الذي أصاب الفلاح. واهتدى إلى السعادة. ومن تعرض للخذلان. فلن يجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله.



الآية الثانية: النوم



﴿وَتَحَسَّبُهُمْ أَيُّكَازًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾﴾
﴿وَتَحَسَّبُهُمْ أَيُّكَازًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾

سبحان الله يا له من تعبير رباني عجيب، والله لقد عجزت حروف اللغة العربية عن التعبير عما يجول بخاطري عن وصف الحالة والهيئة التي كانوا عليها، فهم رقود منغمسون في نوم عميق ولكنهم أيقاظ لمن ينظر إليهم. والله إن هذه البلاغة المعجزة تستحق أن يسجد لها البلغاء!

ولا شك أن هذا تعبير رباني دقيق يصور الحالة التي كانوا عليها بكل دقة وتفصيل، يخدم المعنى العام للحالة. وكم أتمنى والله من مدرسي اللغة العربية في بلاد المسلمين أن يربوا أبناءنا الطلاب على أسلوب القرآن البلاغي المعجز والتعبير التصويري الرائع وهم يدرسونهم حصص التعبير الإنشائي والبلاغي.

﴿وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾

وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، قد غشاه الله ما غشاهم، يُقَلَّبُونَ ذات اليمين وذات الشمال، وكلبهم باسط ذراعيه على باب الكهف. قال ابن عباس: لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض.

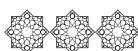
لطيفة: يقول بعض علماء التفسير عن ذكر الله عز وجل للكلب في هذا

المقام وهذه فائدة صحبة الأخيار، فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن.

﴿لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ ﴿١٨﴾

أي: لوليت إليهم لوليت منهم فزعاً وخوفاً، وذلك أن الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يدخل إليهم أحد. وقيل: إنهم طالت شعورهم وأظفارهم جداً فلذلك كان الرائي لهم لو رآهم هرب مرعوباً، حكاة الزجاج.

فائدة: ذكر الإمام ابن حجر رواية عن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال: لو كُشِفَ لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم. فقال له ابن عباس رضي الله عنه: ليس لك ذلك، قد منع الله تعالى منه من هو خير منك فقال: ﴿لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ ﴿١٨﴾ فقال معاوية: لا أنتهي حتى أعلم عملهم، فبعث أناساً وقال لهم: اذهبوا فانظروا، ففعلوا. فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأحرقتهم. هذا والله أعلم في صحة هذه الرواية.



السؤال...

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَيْشَائِيَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾

ثم شاء الله بعلمه وحكمته وقدرته فبعثهم ليتساءلوا بينهم وهم في ذهول من أمرهم وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴿كَمْ لَبِئْتُمْ﴾ أي: كم مرّ علينا منذ دخلنا هذا الكهف؟

﴿قَالُوا لَيْشَائِيَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾

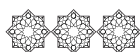
وهذا دليل على جزمهم بقصر المدة الزمنية التي مكثوها لأنه كان دخولهم إلى الكهف في أول نهار، واستيقاظهم كان في آخر نهار، ولهذا استدركوا فقالوا: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾. وقولهم فيه دليل على أنهم لم ينكروا من حالهم شيئاً، ولا وجدوا من أظفارهم وشعورهم ما يدل على طول المدّة. سبحان الله. يا لقدرة الله ناموا مئات السنين ولم يشعروا بها إلا كجزء يسير من اليوم!

فائدة: ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ جواب مبني على غالب الظن. وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب، وأنه لا يكون كذباً وإن جاز أن يكون خطأ.

روى سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال أحدهم: لبثنا يوماً، وقال آخر: لبثنا نحوه فقال لهم كبيرهم: لا تختلفوا فإنّ الاختلاف هلكة.

أسمعتكم يا شباب.. الاختلاف هلكة. اتركوا ما أنتم فيه من المحاوراة غير المجدية، وخذوا في شيء آخر مما يهتمكم وينهض بأمّتكم. واتركوا التوافه من الأمور، فكما قال شيخ الأزهر الأسبق محمد سليم البشري: ما زلنا نختلف حول غسل القدم ومسح القدم حتى لم يبق لنا في الأرض موطيء قدم. وتذكروا قوله تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46].

وقد رأى بعضُ الشيوخ بعض العلماء في المنام فقال له: ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها؟ فبسط يده ونفخ فيها، وقال: طاحت كلها هباء منثوراً، وما انتفعت إلا بركعتين خلصا لي في جوف الليل!



رد العلم إلى الله...

﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسَ لَكُمْ﴾

وبعد أن سكت الجميع، وهدأت الأمور، ردوا الأمر لله الواحد القهار وأوقفوا الجدل الذي بدأ يظهر بينهم. وقالوا: الله أعلم بأمركم. فلا داعي للخوض في المدة الزمنية.

لطيفة: قصة مدة مكث أهل الكهف في كهفهم وقصة بعثهم تذكرنا بقصة صاحب القرية التي ذكرت في سورة البقرة. ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: 259].

والعامل المشترك في القصتين هو تقرير حقيقة البعث والنشور.



الحذر واجب شرعي...

﴿فَاَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾

عادة ما يشعر النائم بعد الاستيقاظ من النوم بالجوع، وحاجته إلى أكل ما لذ وطاب من الطعام، لذا قرروا بعد المشاورة أن يبعثوا واحداً منهم إلى المدينة

التي خرجوا منها ليأتي لهم بشيء من الطعام الزكي الطيب فهم يشعرون بالجوع. وهنا تبرز لنا صفة الثالثة للكهف وهي قربه من المدينة والدليل أنهم طلبوا من أحدهم أن يذهب ويشتري الطعام ثم يعود إليهم بسرعة.

﴿أَزْكَى طَعَامًا﴾

أي أطيب وأكثر. قال الشاعر:

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة

وللسبع أزكى من ثلاث وأطيب

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رحمه الله قال: يعني أيها أطهر طعاماً لأنهم كانوا يذبحون الخنازير.

فائدة: وفي احتفاظهم وحملهم للمال الذي عبروا عنه بقولهم: ﴿بَوْرَقِكُمْ﴾ دليل على أن إمساك وإدخار بعض ما يحتاج إليه الإنسان لا ينافي التوكل على الله.

﴿وَلَيْتَلَطَّفَ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾

كل ما يعنيه الثبات على الحق، ونبذ الضلالة، والفرار من الفتنة، ولذلك طلبوا ممن يخرج لإحضار الطعام أن يتلطف في خروجه وذهابه وشرائه وإيابه، ولا يعلمن به أحد أبداً! لأنهم مازالوا خائفين من بطش الكفار. قالوا له انطلق فاستمع، ما نذكرُ به، وابتغ لنا طعاماً، فوضع ثيابه، ودخل المدينة التي تركها بعد مئات السنين خائفاً يترقب، أذهله المنظر، فخيَّل إليه أنها ليست بالمدينة التي يعرف، ورأى ناساً لا يعرفهم، فجعل يتعجب ويقول: لعلي نائم، فقام

مُسنداً ظهره إلى جدارٍ، وقال في نفسه: والله ما أدري ما هذا، لعل هذه ليست المدينة التي أعرفُ، فقام كالحيوان. ولسان حاله يقول:

أما الديار فإنها كديارهم

وأرى رجال الحي غير رجاله

فائدة: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ﴾ قال ابن الأنباري: إنما قال: " أحدكم"، ولم يقل: واحدكم، لئلا يلتبس البعض بالمدحوح المعظم، فإنَّ العرب تقول: رأيت أحد القوم، ولا يقولون: رأيت واحد القوم، إلا إذا أرادوا المعظم، فأراد بأحدهم: بعضهم، ولم يُرد شريفهم.



ولماذا الحيطة والحذر؟

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ ﴿٢٠﴾

الفتية في حالة خوف بشري طبيعي من أن يظفر الكفار بهم. يخافون منهم أن يطلعوا على مكانهم، فلا يزالون يعذبونهم بأنواع العذاب وأشدّه وأخبثه وهو الرجم، وهذه القتلة هي أخبث قتلة، وكانت عاداتهم. وهذا هو ديدن أهل الكفر والنفاق ومن سار على آثارهم من المخادعين وهي الضرب بيد من حديد على كل مصلح صادق يقول ربي الله لا أشرك به أحداً.

وتبقى الحكمة ضالة الصادقين في دعواهم إلى الله عز وجل وفي توضيحتهم فلا بد من الحرص الشديد والاختفاء عن العدو في حالة القلة والضعف فلا للمواجهة

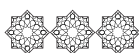
الخاسرة وهدر الطاقات والدماء. وهذا ليس بضعف بل من الحكمة، كما إن الصبر مطلب شرعي، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ها هم الصحابة الكرام في مكة المكرمة يشكون إلى قائدهم محمد ﷺ شدة وبأس الكفار عليهم وهو يصبرهم ويمنعهم عن إعلان إسلامهم قولاً أوفعلاً، وألا يجتمع بهم إلا سراً، لأنه إذا اجتمع بهم علناً فلا شك ربما يفضي ذلك إلى مصادمة الفريقين. ومعلوم أن المصادمة لوتعددت وطالت لأفضت إلا تدمير المسلمين وإبادتهم، فكان من الحكمة الاختفاء، وكانت دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي مركزاً لاجتماع الرسول ﷺ بالمسلمين.

﴿أَوْ يُعِيدُكُمْ﴾

أي: يدخلوكم ويعيدوكم في ملتهم التي هم عليها بالإكراه العنيف.

﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَكَّدَا﴾

وإن وافقتموهم على العودة إلى دين الكفر فلا فلاح لكم في الدنيا ولا في الآخرة. وهذا هو ديدن الكفار على مر الزمان والعصور فهم لن يرضوا عن المسلمين مهما عمل المسلمون وتواضعوا وتخلوا عن الكثير من حقوقهم ومبادئهم، ويكفيينا في هذا المقام قوله عز وجل: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة : 120].



الحكمة...

﴿وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِیَعْلَمُوا أَنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾

يسكت القرآن الكريم عما حدث للشباب في المدينة التي زارها بعد مئات السنين وكيف اهتدى الناس إليهم، وبأي لغة تخاطب معهم ولكنه تحدث عن الحكمة من بعثهم بقوله: ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾

أي أطلعنا عليهم الناس ليعلموا أن وعد الله، وأمره في الإحياء والبعث حق مبین، وأن الساعة آتية لا ريب فيها. فيا أخي الفاضل يا من يقرأ هذه السطور قضية البعث والنشور حق مبین، وأن الساعة قادمة لا محالة، والجنة أزلفت، والنار تهيئت، والمطلوب صدق اليقين، وتجديد النية، والاستغفار والتوبة والاستعداد ليوم الرحيل. فالإيمان بيوم الدين من أركان الإيمان. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ [الإنفطار: 17-18].

الاختلاف...

﴿إِذْ يَنْتَزِعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ (٢١)

اختلفوا في أمرهم فإذا هم فريقان يختصمون في أمرهم. وهذا حال الناس في كل أمر وخاصة فيما يتعلق بأمور الدين والعقيدة. فمن الناس من قال سدوا عليهم باب كهفهم، وذروهم على حالهم، ومنهم من قال غير ذلك، واقتراح بناء مسجد عليهم يتبركون بمكانهم، وهذا محتمل لأن النبي ﷺ قال: " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصلحيتهم مساجد ". ويقال عن فتية أهل الكهف أنهم من أتباع ديانة عيسى عليه الصلاة والسلام.

وهنا حرقه في قلبي أريدك أن تعرفها أخي القارئ وهي تتعلق بعقيدة التوحيد، وهي أن غالب بلاد المسلمين وخاصة الفقيرة منها التي قدر الله عز وجل لي زيارتها خلال تطوعي في جمعية الشارقة الخيرية تتخذ من قبور صالحهم وأوليائهم مساجد وهم بلا أدنى شك على خطر شديد لأنهم أولاً يدخلون بعملهم هذا دائرة الشرك بالله عز وجل. وثانياً يشابهون في عملهم هذا اليهود والنصارى. أسأل الله عز وجل أن يعيننا على تصحيح مسار عقيدتهم. وفي الصحيح عنه ﷺ: "إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء. والذين يتخذون القبور مساجد".

كم عددهم؟

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۚ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۚ﴾ (٢٢)

يقول الله تعالى مخبراً عن اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف، فحكى ثلاثة أقوال، فدل على أنه لا قائل برابع، ولما ضعف القولين الأولين بقوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي قذفاً بالظن، قولاً بلا علم، كمن يرمي إلى مكان لا يعرفه، فإنه لا يكاد يصيب وإن أصاب فبلا قصد كقوله سبحانه في سورة سبأ: ﴿وَيَقْدِفُوكَ بِالْغَيْبِ﴾ [سبأ: 53].

﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾

يجب رد الأمر لله والله لحكمة ما أطلع إلا القليل على عددهم. قال ابن عباس: أنا من القليل الذي استثنى الله عز وجل، كانوا سبعة.

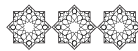
دعوة للتأمل: قوله سبحانه ﴿ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ﴾ ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ﴾ ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ﴾ فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة؟ ولم دخلت عليها دون الأوليين؟ الجواب: فائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ﴾ قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرحموا بالظن كما غيرهم. والدليل عليه أن الله سبحانه أتبع القولين الأولين قوله ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ وأتبع القول الثالث قوله ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾. والله أعلم بالصواب.



الجدل...

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهَرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٢٢)

المراء في اللغة: الجدل. ثم استثنى سبحانه من المراء ما كان ظاهراً واضحاً فقال: ﴿إِلَّا مِرَاءً ظَهَرًا﴾ وفي هذا إرشاد إلى أن الأحسن في مثل هذا المقام رد العلم إلى الله تعالى، إذ لا احتياج إلى الخوض في مثل ذلك بلا علم ودليل، لكن إذا أطلعنا على أمر قلنا به وإلا وقفنا حيث وقفنا. هذا والله تعالى أعلم.



النية...

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِّشَآئٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ عَدَا﴾ (٢٣) ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَذَكَّرَ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا﴾ (٢٤)

يقول الرسول ﷺ: "أدبني ربي فأحسن تأديبي". هذا نهى تأديب وإرشاد من الله تعالى لرسوله ﷺ إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء لفعله في المستقبل

أن يرد ذلك إلى مشيئة الله عز وجل، علام الغيوب الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وقد تقدم في بداية قصة أصحاب الكهف سبب نزول هذه الآية في قول النبي ﷺ لما سئل عن قصة أصحاب الكهف "غداً أجيبكم" فتأخر الوحي خمسة عشر يوماً، وقد ذكرناه بطوله في أول القصة، فأغنى عن إعادته. ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ (٢٤)

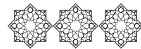
أي: إذا سئلت عن شيء لا تعلمه، فاسأل الله تعالى فيه، وتوجه إليه في أن يوفقك للصواب والرشد في ذلك. وهذه نصيحة لكل مسلم ومسلمة أن يدعو بهذا الدعاء الرباني المبارك يبدأ بذكر الله ويقول عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً.



مدة المكث...

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (٢٥)

الكل مشتاق لمعرفة المدة الحقيقية التي مكثها الفتية في الكهف وهذه الآية تقرر ذلك بكل وضوح. ثلاثمائة سنة وتسع سنين هذا خبر من الله تعالى لرسوله ﷺ بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم منذ أرقدهم إلى أن بعثهم الله وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان. وعن الزجاج أن المراد: ثلاثمائة سنة شمسية وثلاثمائة وتسع سنين قمرية، وهذا إنما يكون من الزجاج على جهة التقريب. ثم أكد سبحانه اختصاصه بعلم ما لبثوا في الآية القادمة.



رد العلم إلى الله...

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسَ لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٣٦﴾

مرة أخرى يجب رد العلم إلى الله الذي له ملك وغيب السماوات والأرض ما خفي فيهما وغاب من أحوالهما ليس لغيره من ذلك شيء، ثم زاد في المبالغة والتأكيد فجاء بما يدل على التعجب من إدراكه للمبصرات والمسموعات فقال:

﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾

وهو بمعنى التعجب أي ما أسمعُهُ وما أبصرُهُ. وذلك في معنى المبالغة في المدح، كأنه قيل: ما أبصره وأسمعه، وتأويل الكلام ما أبصر الله لكل موجود، وأسمعه لكل مسموع، لا يخفى عليه من ذلك شيء. أي إنه تعالى هو الذي له الخلق والأمر، الذي لا معقب لحكمه، وليس له وزير ولا نصير ولا شريك ولا مشير، تعالى وتقدس ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾



لا بد من وقفة هنا وهي: توجيه الإنسان إلى أن يحكم بما يعلم ولا يتعدها، وما لا علم له به فليدع أمره إلى الله، ولا يتكلف فالتكلف يؤتي بما لا تحمد عقباه. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ سَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْءَانُ بُدِّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ [المائدة: 101].



الخاطرة السادسة: اقرأ



﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (٢٧)



﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾

يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ أن يواظب على تلاوة كتابه العزيز، القرآن الكريم، وإبلاغه إلى الناس كافة.

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾

أي: لا مغير لها ولا محرف ولا مؤول فالله سبحانه وتعالى تكفل بحفظه. يقول عز وجل مؤكداً هذا المعنى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٩١) [الحجر: 9].

فمهما عملت قوى الشرق والغرب في تحريف القرآن والإتيان بغيره محرفاً وملغياً منه بعض الآيات كآيات الولاء والبراء، والجهاد في سبيل الله فلن يستطيعوا لذلك سبيلاً. يقول تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِنَا بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنِّي أَخَافُ إِنِّي عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٥) [يونس: 15].

﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾



ملتحدًا: ملجأً قاله مجاهد. ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: 22]. والمعنى أنك إن لم تتبع القرآن وتعمل بأحكامه لن تجد معدلاً تعدل إليه ومكاناً تميل إليه.



أيها الأحبة...

وأنا أقول هنا إلى الدعوات الظالمة الضالة التي تريد منا أن ننحي القرآن عن حياتنا واستبداله بطلاسم وخرافات. ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [١١] وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِىٰ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ [١٢] وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَرْكَبُهُ أَيْنَئِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [١٣] [النمل: 91-93].





الخاطرة السابعة: الصبر على الدعوة



﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٢٨).



بعد أن استمتعنا جميعاً مع فتية الكهف ينقلنا القرآن المجيد إلى تاريخ جديد، وعهد ولید، وقرن جدید، إنه خير عهد، عهد محمد ﷺ، وقومه، وتوجيهات مهمة تحتاجها دعوته المباركة.

يقال إن سبب نزول الآية المتصدرة لهذه الخاطرة: إنها نزلت في أشرف قريش حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم، وحده، ولا يجالسهم مع ضعفاء أصحابه، كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود وغيرهم من فقراء المسلمين، وليفرد أولئك بمجلس على حدة، فنهاه الله عن ذلك.

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

أي اجلس يا محمد، واصبر نفسك مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشياً يريدون رضاه ويطمعون في جنته. وذكر الغداة والعشي كناية عن الاستمرار على الدعاء في جميع الأوقات.



﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

ولا تصرف نظرك عنهم، ولا تكرر جهدك إلى المتكبرين من أغنيائهم فهو زينة الحياة الدنيا، كما قال: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: 88]. وقد أغفلنا قلوبهم عن التوحيد والقرآن والإسلام لشدة كفرهم واتباعهم لهواهم، وكان أمرهم فرطاً. ويؤيد هذا ما جاء في سورة الأنعام فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: 52]. قال ابن عباس: ولا تجاوزهم إلى غيرهم، يعني تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة.

فيا أحبتي...

أرجو ألا لا نذكر هذه المواقف لمجرد الذكر فكما ذكرنا في الخاطرة الأولى الهدف من القرآن هو التدبر والعمل بما جاء فيه. فالمطلوب منا أيها الأحبة أن نتقرب إلى الضعفاء والفقراء المنتشرين في مشارق الأرض ومغاربها لنشر الدعوة بينهم ولا نركز فقط على الدول المتقدمة والأوروبية. فيجب أن نفرح بتوبة الهندوسي الفقير كما نفرح بتوبة النصراني أو اليهودي الغني.

ويجب ألا ننسى سورة عبس وسبب نزولها. حيث أجمع المفسرون على أن سبب نزولها: أن قوماً من أشرف قريش كانوا عند النبي ﷺ، وقد طمع في إسلامهم، فأقبل عبدالله بن أم مكتوم، فكره رسول الله ﷺ أن يقطع عليه ابن أم مكتوم كلامه، فأعرض عنه، فنزلت: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۖ (١) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ

يَرْزُقْ ﴿٢﴾ أَوْ يَذْكُرْ فَنَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾ أَمَّا مَنْ أَسْتَعَى ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْزُقَ ﴿٧﴾
وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَحْشَى ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تُلَهَّى ﴿١٠﴾ ﴿عبس: 1-10﴾. ثم استمع حفظك
الله إلى الآيتين التاليتين من نفس السورة: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ﴿١٢﴾﴾
[عبس: 11-12]. أي: إن هذه الآيات موعظة حقها أن تتعظ بها، وتقبلها وتعمل
بموجبها، ويعمل بها كل أمتك.

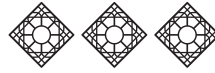




الخاطرة الثامنة: الاختيار



﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾



يقول الله تعالى لرسوله محمد ﷺ: **﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾** جئتكم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك إذا بلغ هذا للناس فقد أعذرت إليهم فلهم الخيار في الاستسلام والإسلام **﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ﴾** أو الكفر والعناد **﴿وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾** وشتان ما بين الفريقين **﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْبَرِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾** [هود: 24].

وهنا وجب التوضيح لأمر مهم جداً وهو أن الإسلام هو آخر الرسالات السماوية ولن يقبل الله يوم القيامة بديلاً عن الإسلام لدخول الجنة مهما صلح وتقرب الإنسان إلى الله بدون الإسلام. يقول الله تعالى: **﴿قُلْ يَتَايَهُمُ النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾** [الأعراف: 158].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار" [رواه مسلم].



فالرجاء أن يفهم هذا الأمر كل من يدعو إلى تقارب العقائد، وحوار الحضارات والأديان لاسيما أولئك الذين ينساقون سوقاً وراء الشعارات الجوفاء التي تفد إلينا من الغرب من وقت لآخر حسب الأهواء. ولا شك في أننا بحاجة ماسة إلى تلك اللقاءات لتبليغ دين الله، وإقامة الحجة، ولكشف بعض الأقاويل والشبهات الباطلة التي نسبت زوراً وبهتاناً إلى هذا الدين الحنيف، ورسوله محمد الصادق الأمين، احقاقاً للحق، وإبطالاً للباطل، وفق المنهج الرباني الواضح المتمثل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 46].

ولعل أبرز من تبني الحوار في السنوات الأخيرة كان الشيخ أحمد ديدات، رحمه الله، مع القس جيمي سواجرت وتناقلته وسائل الإعلام المختلفة وتحمس له الكثير من الناس حيث أقام الشيخ أحمد وساق الحجج والبراهين على بطلان وفساد المعتقد النصراني الحالي بطريقة ممتازة شكره عليها الكثير من الناس حتى من المنصفين من النصارى.

وبما أن الحق أحق أن يتبع لا سيما فيما يتعلق بالعقائد وأمور الدين. لذلك وجدت أن هناك بعض النقاط المهمة جداً والتي يجب أن يضيفها كل من يحاور أهل الكتاب في قضايا الأديان والحضارات. ولا أخفيكم سراً إذا قلت لكم إنني كنت أقدم رجلاً وأُخِرُ أخرى عندما خطر في بالي أن أكتب في هذا الموضوع الحساس والمهم، وذلك لكثرة من خاض فيه غالباً بحق، وأحياناً بباطل، ولا شك أنه من الموضوعات الحية وإن كان مضى عليه وقت طويل، ولكنه حيٌّ في نفوسنا فنحن شهداء الله في أرضه ونشر الإسلام وتعاليمه السمحة فرض لا مفر منه. يقول تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104].

ووصيتي لمن يقرأ هذه الخاطرة: أن يكون منصفاً في حكمه وأن يتأني في قراءتها قراءة شمولية قبل إصدار أي فتوى، أوحكم على ما جاء فيها، وأن يلتمس العذر لما يراه مخالفاً لرأيه فكل واحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا المعصوم صاحب الرسالة الخاتمة سيد الأنبياء محمد ﷺ، على أن ما في هذه الخاطرة من هنات لا يبلغ شيئاً مما فيها من خير عظيم وحسنات. وإن وجدت أخطاء فاضرب عنها صفحاً فهي في جانب الحسنات كحبات رمل في جبال، وقطرات ماء في عباب.

ونصيحتي إلى كل من يذهب للحوار أن يقبل على الله بقلب سليم، ويصلي لله ركعتين خفيفتين بتضرع وذل بين يديّ الله ويقول: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: 80]. ومن ثم يقوم ويدعو بدعاء الحبيب محمد ﷺ: "اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم" [أخرجه مسلم].

وبعد ذلك تقوم وكلك نشاط وحيوية وثقة عالية بنفسك، وتبدأ حوارك بصيغة الخطبة على سنة الرسول ﷺ. وكان إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش. ثم تطرح نقاطك.

أقول بلسان عربي مبين إن الأسطر التالية هي تصور ومقترح رسالة تخيلتها تقرأ على أهل الكتاب في حوارنا معهم وأسميتها: هذه عقيدتي.

ولكن وقبل أن نشرع في قراءة الرسالة أود أن أؤكد على ثلاث نقاط مهمة جداً وهي:

أولاً: يجب أن نكون واثقين من نجاحنا في الحوار لأننا على الحق المبين. لذا يجب أن يتصدر الأجندة قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 18].

ثانياً: أن ندخل قاعة الحوار بعزة مرددين وبصوت مسموع قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81].

ثالثاً: أهل الكتاب يعرفون جيداً صدق دعوة محمد ﷺ، فالمولى عز وجل يقول: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 146]. فلا ندخل عليهم بعين مكسورة، وكأنهم يسمعون عن الإسلام لأول مرة في حياتهم.

والآن أتركك لتقرأ هذه الرسالة والتي كما ذكرت آنفاً هي تصور وأمنية لتكون كلمة الله هي العليا دائماً وأبداً.. وكلمة الذين كفروا هي السفلى.





رسالة إلى أهل الكتاب بعنوان هذه عقيدتي

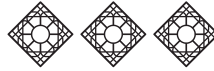


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة: 29].

"الرجوع إلى الحق خير من التماسي في الباطل"

[حكمة عربية]



يا أهل الكتاب...

سلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن،
وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته. ألقاها إلى مريم البتول الطيبة
الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإنني أدعوكم
إلى الله وحده لا شريك له، والموالاتة على طاعته، وأن تتبعوا، وتؤمنوا برسول الله
محمد ﷺ خاتم الأنبياء وإمام المرسلين المبعوث رحمة للعالمين.



يا أهل الكتاب...

جئنا إليكم من بلاد بعيدة، حاملين معنا السلام والإسلام. وجئنا لتخليص الناس من الأباطيل والأوهام. وهناك عدة مسائل أود أن أطرحها على مسامعكم وأرجو أن تتقبلوها بقبول حسن.

المسألة الأولى: الحوار

وهنا نقطة مهمة جداً وهي: أن الدين الإسلامي الحنيف يحث على الحوار والنقاش والإصغاء إلى الطرف الآخر. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 46].

ونحن نهدف من هذا الحوار إلى تجاوز حالات اللبس في الفهم التي تولدت نتيجة الصدام العسكري، وحملات التضليل والتشكيك التي قامت بها بعض المنظمات هنا وهناك. كما نهدف من حوارنا هذا إلى التصدي للدعاية الإعلامية المشوهة للإسلام والمسلمين. لنتمكن من وضع اليد على حقيقة المشكلة ومن ثم ضمان تقديم الحلول الناجعة والمناسبة لها.

المسألة الثانية: الإسلام

الدين الإسلامي جاء مصداقاً للتوراة والإنجيل وهو آخر الرسالات السماوية. وقد بعث الله الرسول الكريم محمداً ﷺ للناس كافة وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَنَكُنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سباء: 28].

لذا لن يقبل الله سبحانه يوم القيامة بديلاً عن هذا الدين الحنيف. لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ [آل عمران: 85].

المسألة الثالثة: نفي أن يكون لله صاحبة أولاد

وهنا موقفنا واضح وقوي وصريح ولا مجال للمناقشة والجدال، فليس لله صاحبة أولاد تعالى الله عما تقولون علواً كبيراً. ولعله من المناسب أن أتلو على مسامعكم آيات بينات من كتاب الله لعلها تنفذ إلى قلوبكم وتحرك فطرتكم. يقول تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْعَزِيزُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ [يونس: 68-70].

المسألة الرابعة: المسيح عيسى عليه السلام

أما قضية ميلاد المسيح عيسى عليه السلام فهي من المسائل المحسومة كذلك وتتلخص في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالْصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا سَفِيًّا ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۖ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا فَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۖ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٣١﴾ [مريم: 30-36].

وأود هنا أن أذكركم بموقف ملك الحبشة النجاشي عندما هاجر إليه المسلمون في بداية الدعوة خوفاً من بطش قريش وكان آن ذاك نصرانياً، فبعثت قريش

قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لِهَآيَةِ النَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٣١﴾
فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٣٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي
مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿٣٣﴾ فَدَادَهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ
سَرِيًّا ﴿٣٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٣٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا
فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٣٦﴾ فَأَتَتْ
بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٣٧﴾ يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا
سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٣٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْعِدِ صَبِيًّا ﴿٣٩﴾
[مريم: 16-29].

المسألة السادسة: إبراهيم عليه السلام

الخليل إبراهيم عليه السلام من أولي العزم من الرُّسل وما كان يهودياً أو نصرانياً بل كان حنيفاً مسلماً وما نزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده. لذا فالمسلمون هم أولى الناس بإبراهيم عليه السلام ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ هَتَأْتُمْ هَؤُلَاءِ حُجَجَتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾
[آل عمران: 65-68].

المسألة السابعة: صراع الحضارات

وهنا مسألة حساسة جداً يغلب عليها الطابع السياسي الديني المتطرف. وبالنسبة لنا فإن مفهوم صراع الحضارات أطروحة روج لها المحافظون الجدد في الولايات

الأمريكية. ويسعى اليمين المسيحي المتآلف مع تيار المحافظين الجدد ذي الميول الصهيونية إلى تكريس هذه الأطروحة لتأجيج التوتر بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي.

لدفع شبهة الغرب عن مصطلح صراع الحضارات الذي يتحدثون عنه في أمريكا وفي الغرب وإننا كمسلمين لا نعرف إلا السلام والمحبة والتعاون بين الشعوب وتوثيق الصلات بينها امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

المسألة الثامنة: إيذاء الرسول محمد ﷺ

رفعت الأقلام وجفت الصحف. هنا محمد. هنا رسول الرحمة. هنا رسول الإنسانية. لا مجال للسماح لأي كائن من كان أن يتعرض له بأي إساءة لذا وجب عليكم التعرض إلى متطرفيكم وأن يوقفوا فوراً وبدون شروط إيذاء رسول الله ﷺ في مقالاتهم وفي رسوماتهم السخيفة. ونقول لهم: إننا لا نقيد حريتهم في عقائدهم فقرأنا المجيد يقول: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [١٦]، ولكننا نقيد آراء الناس في آرائهم فيما يتعلق بالإسلام والتطاول على أهله ولا سيما رسولنا الصادق الأمين محمد ﷺ. إننا لا نقبل أن يطعن أحد في دين محمد ﷺ، بالنسبة التي لا يرضى بها أحد أن يطعن في دين المسيح عليه السلام، فإن حرمان الأديان يجب أن تكون موقورة. وعقيدة المسلم تقول لا نفرق بين أحد من رسله.

المسألة التاسعة: وقف التعصب الغربي

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ أَحْمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 58].

يجب وقف تيار التعصب والتطرف الغربي ضد المسلمين ولا سيما الذين يعيشون في بلاد الغرب منهم. بالأمس أترتم مسألة الحجاب في فرنسا، واليوم تطور الأمر بشكل خطير جداً جداً. وما مقتل الصيدلانية المصرية الشابة مروة الشرييني، شهيدة الحجاب، على يد متطرف ألماني عنا ببعيد. فكما تطلبون منا أن نلاحق ونحارب أصحاب الفكر الإسلامي المنحرف في بلادنا ووضعهم في المعتقلات والسجون. كذلك نطلب منكم من هذا المنبر أن تقوموا بنفس الدور في بلادكم على من أصيبوا بداء العداء لكل ما هو إسلامي عندهم.

المسألة العاشرة: الجهاد

الجهاد مبدأ إسلامي مركزي، وفريضة ماضية إلى يوم القيامة، ولا يمكن لأحد أن يتحدث عن إسلام دون ربطه بعقيدة الجهاد. بل ليس من المبالغة القول إن الجهاد مكن المسلمين في السابق من تحرير الشعوب التي تفاعلت معه من تسلط الفئات الفاسدة والمفسدة ومن يقرأ منكم التاريخ قراءة عادلة واعية بعيدة عن العاطفة والغلو يجد أدلة على ما نقول. والعنف في الإسلام مرفوض، لأنه يمثل خصلة من الخصال التي تأبها طبيعة الإسلام دين الرحمة والرفق. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧) [الأنبياء: 107].

الإرهاب الذي نراه اليوم ليس جهاداً. فقتل المدنيين والنساء والأطفال لتحقيق أهداف سياسية يتعارض مع روح الجهاد. فالإسلام يحرم قتل الأبرياء، ويجعل قتل نفس بريئة معادلاً للقضاء على الحياة الإنسانية برمتها، ومن أحيائها فكأنما أحيانا الناس جميعاً. وفي ذلك يقول تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32]. فكما أننا نحارب ونستنكر عمل الجماعات الإرهابية المجرمة في بلادنا العربية والإسلامية،

حرسها الله، فإننا بالقوة نفسها نستنكر ما تقوم به الدولة الإرهابية الكبرى والمسماة بإسرائيل ضد الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ في فلسطين

يا أهل الكتاب...

تلك عشرة كاملة. والباقي يأتي لاحقاً بعد أن نستمع إلى ردودكم. لم أجد وأنا أختتم حديثي إليكم قولاً أفضل مما قاله ربنا سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 18].

ولكم مني ومن إخوتي كل احترام وتقدير. وأرجو أن تحكِّموا قلوبكم وعقولكم لا عواطفكم فيما قلت.

والسلام على من اتبع الهدى.

وبعد...

فهذا ما أحببت أن أبينه للقارئ الكريم مما يعتلج في نفسي من خواطر نحو هذه الخاطرة المهمة، وإنني لأرجو الله تبارك وتعالى أن ينفعني بها فيما أصبت فيه، وأن يغفر لي منها ما أخطأت فيه، وأن يجعل ثواب ذلك في عداد حسناتي يوم العرض عليه، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وأرجو ألا يحكم علينا القارئ الذي يخالفنا الرأي عند هذه المسألة المهمة، وقد مدح الله عباده المؤمنين بقوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ

فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾
 [الزمر: 18]. وأقول هنا كما قال نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى
 مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ
 أُنِيبُ﴾ [هود: 88].

أما من يعتقد أننا أخطأنا في طرحنا، ويقول إننا نتكلم متعصبين تعصباً دينياً
 فيما ذكرناه آنفاً، فمرحباً بذلك، لأنه إذا كان التعصب الديني هو المحافظة
 على كرامة الأديان جميعاً فإنني أول المتعصبين. وسجل يا تاريخ. ومن لا
 يعجبه ما نقول. نقول له يسلم عليك المتنبى ويقول لك:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً

وآفته من الفهم السقيم

والحمد لله رب الذي يسر وأعان. ولا تعليق أكثر.

وتبقى همسة أخيرة...

أجد في نفسي شيئاً ما يدفعني إلى مشاركة الجميع هنا، وهو في الحقيقة
 همسة مصحوبة بتساؤل. بدأ ما يسمى بالحوار مع الإسلام في الغرب في
 عام 1965م عندما أصدر المجمع الكنائسي الثاني للفاتيكان وثيقة الفرمان
 Nostra Eltate والذي تصرح فيه الكنيسة الكاثوليكية من خلال بيانها هذا أنها
 لا ترفض أي حقيقة أو قدسية من الديانات السماوية الأخرى (الأصح أن يقال
 الرسالات السماوية). فعقدت المؤتمرات والندوات الكثيرة لتسليط الضوء على
 هذه الحوارات.

وزادت المطالبة بهذه الحوارات بعد أحداث وتدايعات الحادي عشر من سبتمبر 2001 م التي سببت لدى المجتمعات الغربية ارتباكاً جذرياً. وصدمة نفسية كبيرة على الإسلام والمسلمين.

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة هنا: ما الجديد في مشروع الحوار؟.. فمنذ عشرات السنين وهذه اللقاءات مستمرة وعلى أعلى المستويات السياسية والدينية والثقافية؟... ولماذا البعض منا يصر على تسميتها حوار الأديان، رغم أن الفاتيكان تسميها حوار الثقافات وذلك تطبيقاً لوثيقة "المسيح المهيمن" الراضة لوجود ديانات حقيقية غير الكاثوليكية!.. لماذا يصر البعض منا على الحوار والبابا يقول: إن الإسلام ليس دين توحيد على نمط اليهودية والمسيحية وهو لا ينتمي إلى الوحي نفسه الذي تنتمي إليه اليهودية والمسيحية؟... لماذا يصر البعض منا على الحوار والبابا في زيارته الأخيرة لسوريا رفض زيارة قبر صلاح الدين الأيوبي وهو في حرم المسجد الأموي وذلك حتى لا تكون زيارته هذه إشارة اعتذار للمسلمين عن الحروب الصليبية!.. لماذا يصر البعض منا على الحوار رغم رفض مندوب مجلس الكنائس العالمي الدكتور طارق متري التوقيع على البيان الختامي للمؤتمر الذي عقد في فندق شيراتون هليوبولس في 28-29 أكتوبر 2001م، لأن فيه عبارة "الديانات السماوية، والقيم الربانية" قائلين: نحن لا نعترف بالإسلام ديناً سماوياً، ولا بالقيم الإسلامية قيماً ربانية.

لقد ظل الفاتيكان طوال سنوات هذا الحوار على موقفه الديني الثابت، الذي لا يعترف بالإسلام ديناً سماوياً، ولا برسول الإسلام محمد ﷺ نبياً ورسولاً، ولا

بالقرآن الكريم وحياً إلهياً، لذلك يُجلسون وفود المسلمين في هذه الحوارات
إلى جوار الديانات غير السماوية مثل الهندوسية والبوذية!

والجواب وجدته في كتاب الله عز وجل وجزء منه وجدته في صدر سورة
فصلت: ﴿حَمْدٌ ۝١ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي
أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ۝٥﴾

[فصلت: 1-5].

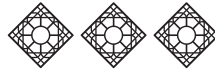




الخاطرة التاسعة: الترهيب والترغيب



﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي
الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا
نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ
أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ
وَحَسْبَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾



أولاً: الترهيب من النار...

وهذا الجزء من الآية مرتبط بالذي قبله وهو النتيجة الحتمية لما سيلقاه
الشخص نتيجة اختياره إما إلى جهنم وإما إلى جنة عرضها السماوات والأرض.
ولنعش سوياً في شيء من التفصيل.

يقول جل ذكره عن الخاسرين أهل النار:

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا

أي هيئنا وأعدنا. لمن؟

﴿لِلظَّالِمِينَ﴾

وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه. وماذا أرصد الله لهم؟



﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾

نار تلظى.. نار عظيمة. سرادقها أي: سورها. وهذه النار فيها من العذاب ما تقشعر له الأبدان عند سماعه فما ظنكم بمن يذوقه ويخلد فيه والعياذ بالله! يقول رسول الله ﷺ: " لسرادق النار أربعة جدر، كثافة كل جدار مسافة أربعين سنة " [أخرجه الترمذي].

فائدة: ذكر عن العالم العابد ابن وهب أنه سمع قوله تعالى:
﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ بَعْآ
فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾ (٤٧) [غافر: 47].

فخر مغشياً عليه ومات بعد ثلاثة أيام. أين نحن من هؤلاء؟

﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾

وإن يستغيثوا من حرّ النار يغاثوا بماء كالرصاص المذاب، وقيل هو درديّ الزيت. عن النبي ﷺ قال: "هو كعكر الزيت، فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه" [أخرجه الترمذي]، قال ابن عباس: المهل: الماء الغليظ مثل دردي الزيت، وقال مجاهد: هو كالدم والقيح. إذا أراد الكافر أن يشربه وقربه من وجهه شواه حتى تسقط جلدة وجهه فيه. أعاذنا الله وإياكم.

وينتهي سبحانه وصفه لهذا الماء بقوله:

﴿بئسَ الشَّرَابُ﴾

أي: بئس هذا الشراب.

﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾

أي: وساءت النار منزلاً وموضعاً.

وليسمح لي القارئ الكريم في هذا الشهر الكريم أن أذكر نفسي أولاً وإخواني ثانياً بجهنم وذلك من باب الترهيب حتى تلين قلوبنا وتخشع لذكر الله سبحانه وتعالى وذلك من باب قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ، يَعْبَادُونَ فَأَتَقُونَ﴾ (١٦) والأسطر التالية قرأتها للإمام القرطبي في كتابه القيم "التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة".

يقول القرطبي رحمه الله في كتابه: ذكر عن بعض أهل العلم في قول الله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ (الحجر: 44). كلمة ﴿مِّنْهُمْ﴾ تعود على الكفار والمنافقين والشياطين.

وبين الباب والباب خمسمئة عام. وأبواب النار حديد، فرشها الشوك غشاوتها الظلمة أرضها نحاس ورصاص وزجاج، النار من فوقهم ومن تحتهم: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ، يَعْبَادُونَ فَأَتَقُونَ﴾ (الزمر: 16). أوقد عليها ألف عام حتى احمرت وألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مدلهمة مظلمة قد مزجت بغضب الله. وأبواب النار سبعة:

فالباب الأول: يسمى جهنم لأنه يتجهنم في وجوه الرجال والنساء فيأكل لحومهم وهو أهون عذاباً من غيره.

والباب الثاني: يقال له: لظى نزاعة للشوى، تدعو من أدبر عن التوحيد وتولى عما جاء به محمد ﷺ.

والباب الثالث: يقال له: سقر، وإنما سمي سقر لأنه يأكل اللحم دونه العظم. والباب الرابع: يقال له: الحطمة، تحطم العظام وتحرق الأفتدة.

والباب الخامس: يقال له: الجحيم، وإنما سمي جحيماً لأنه عظيم الجمر،
الجمرة الواحدة أعظم من الدنيا.

والباب السادس: يقال له: السعير، وإنما سمي السعير لأنه يسعر بهم ولم
يطفأ منذ خلق. وهذا الباب فيه ثلاثمئة قصر، وفي كل قصر ثلاثمئة بيت، في
كل بيت ثلاثمئة لون من العذاب، وفيه الحيات والعقارب والقيود والسلاسل
والأغلال، وفيه جب الحزن ليس في النار عذاب أشد منه إذا فتح باب الجب
حزن أهل النار حزناً شديداً.

والباب السابع: يقال له: الهاوية من وقع فيه لم يخرج منه أبداً، وفيه بئر
الهبهاب، إذا فتح الباب تخرج منه نار تستعيد منه النار.

ويقال عن أبواب النار إن على كل باب سبعين ألف جبل، في كل جبل سبعون
ألف شعب من النار، في كل شعب قصر من نار، في كل قصر سبعون ألف
بيت من نار، في كل بيت سبعون ألف قلة من سم، فإذا كان يوم القيامة كشف
عنها الغطاء فيطير منها سراق عن يمين الناس وآخر عن شمالهم، وسراق
أمامهم، وسراق فوقهم وآخر من ورائهم، فإذا نظر الثقلان إلى ذلك جثوا على
ركبهم والكل ينادي: رب سلم.. رب سلم.

ويا رب العالمين...

وأنا أقول في هذا المقام: يا رب سويغات وندرك بفضلك ليلة القدر.. فاللهم
إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا.. يا رب أنا واقف بذل بين يديك وأقول: يا
رب سلم.. يا رب سلم.. يا رب سلم.. أسألك بحبي لك.. وبحبي لرسولك
الكريم.. وبحبي لكتابك الكريم.. وبحبي لرسلك وأنبيائك أجمعين.. وبحبي
لأصحاب الكهف والرقيم.. وبحق هذا الشهر الكريم.. وبحق هذه الليلة

المباركة أن تحرّم جسدي على النار لأنني أحسن الظن بك.. يا من رحمته
سبقت غضبه.. يا من رحمته وسعت كل شيء.. ويا رب:

أنا ميتٌ وعزّ من لا يموتُ

قد تيقنت أنني سأموتُ

ليس ملك يزيلُهُ الموتُ مُلكاً

إنما الملكُ ملكٌ من لا يموتُ

ويا رب إنك تقول لجهم يوم القيامة: ﴿هَلْ أُمْتَلَأَتْ﴾ [ق: 30]. وتجيئك وهي تكاد تميز من الغيظ قائلة: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ فيا رب تعذبي فيها لن يشبعها ولن يطفئ لهيبها.. يا رب قلت وقولك الحق: ﴿وَلَا يَكُ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: 47]. يا رب إن جسدي لا يقوى على تحمل الحمى لأكثر من يوم فكيف إذا وردّها وذاق حرّها وزمهريرها.. يا رب قلت وقولك الحق: ﴿وَلَا يَكُ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [طه: 74]. فكيف يهدأ لي بال وأذوق لذة الدنيا وأنا خائف وجل من ذلك اليوم الموعود؟.. يا رب قلت وقولك الحق على لسان الكافرين وهم ينادون على مالك من شدة العذاب: ﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مِّنْكُمْثُونَ﴾ [الزخرف: 77]. فيا رب لا تجعلني واحداً منهم.. يا رب كيف لا أدعوك وأنت تصف محاولة هروبهم من جهنم بقولك ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: 22]. يا رب كيف لا أدعوك وأتوسل إليك وأنت تصف عذاب من في النار بقولك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَمَا نَصِجْتَ جُلُودَهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 56]. فيا رب: وعزتك وجلالك إن:

جسمي على البرد ليس يقوى

ولا على شدة الحرارة

فكيف يقوى على حميم

وقودها الناس والحجارة

يا رب كيف لا أدعوك وأنت تصف عذاب من في النار بقولك:
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا
كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ [فاطر: 36]... اللهم لا تجعلني ممن يدعون خزنة
جهنم وهم في النار ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا
يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ [٤٩] قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا
فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ [غافر: 49-50]. اللهم لا تجعلني ممن
قلت فيهم: ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [٧١] فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ
يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ [غافر: 71-72].

فاللهم آمن روعتي. ويا رب لا أريد قارئ هذه الأسطر يسمعك تنادي على
ملائكتك الأبرار، يوم يتطاير الشرار: ﴿خُذُوهُ فَعَلُوهُ﴾ [٣٠] ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي
سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ [الحاقة: 31-33].

ولا أريده يا رب أن يراني أصرخ في النار مع الكفار فشفيعك محمد ﷺ
يقول: إن الله يستحي أن يرد دعاء من دعاه.. وأنا يارب أدعوك وأنا صائم قائم.
اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني.

فاللهم استجب.. اللهم استجب.. اللهم استجب.

ثانياً: الترغيب في الجنة...

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۖ ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۖ ﴿٣١﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۖ﴾

وفي المقابل هذا ما أعده الله لعباده الصالحين الموحدين جنة عرضها السماوات والأرض. بعد أن ذكر الله الترهيب تبعه بالترغيب. والحسنة بعشرة أمثالها والله يضاعف لمن يشاء.. وقت ما شاء.. وكيف ما شاء.

والآية التي بين أيدينا في هذه الخاطرة فيها بيان وتأكيد من الله سبحانه وتعالى بأنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً ﴿٣٠﴾. ولكل مجتهد نصيب. ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِّي بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ۖ﴾ [آل عمران: 195].

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۖ ﴿٣١﴾﴾

لما ذكر الله تعالى حال الأشقياء، ثنى بذكر السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين فيما جاؤوا به، وعملوا بما أمروهم به من الأعمال الصالحة، فلهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، والعدن: الإقامة.

وفي الجنة يحل لهم ما حرم عليهم في الدنيا وخاصة الرجال فيلبسون أساور من ذهب، وهي زينة تلبس في الزند من اليد وهي من زينة الملوك، وقيل: يحلى

كل واحد منهم ثلاثة أساور: سوار من فضة وسوار من لؤلؤ وسوار من ذهب لقوله سبحانه في آية أخرى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: 21]. وقوله: ﴿يُكَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: 23].

وأما لباسهم فهو لباس من حرير سندس أخضر رقيق. السندس: مارق من الديباج، وبين الإستبرق وهو الغليظ منه، جمعاً بين النوعين وخص الاتكاء. لأنه هيئة المنعمين والملوك على أسرته. يأكلون ويشربون ما شاؤوا وهم متكئون على الأرائك. وهي أسرة من ذهب مكللة بالدرّ والياقوت. يا له من نعيم مقيم يعجز القلم عن وصفه. نسأل الله سبحانه وتعالى باسمه الأعظم أن يهيء لنا من الأعمال الصالحة ما يدخلنا الجنة. ويقربنا إلى الفردوس الأعلى. وذلك هو الفوز العظيم.

لنرجع قليلاً إلى وصف أنهار الجنة. ما أجمل أنهار الجنة ذكر منها القرآن الكريم أربعة أنهار: نهر من ماء غير آسن، نهر من لبن، نهر من خمر، نهر من عسل مصفى. جاء ذكرها في سورة محمد ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: 15].

ومهما ألفت كتب، وصنفت مجلدات، وألقيت مواعظ ومحاضرات، وعقدت الندوات، لوصف الجنة وما فيها من نعيم سرمدي نبقي عاجزين عن الوصول لحقيقة الموجود فيها.. استمع حفظك الله إلى الحديث القدسي التالي.. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله: أعددت لعبادي الصالحين

ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقروا إن شئتم:
﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: 17].

فهيا للجد والعمل الصادق.. اللهم ارزقنا الفردوس الأعلى.. اللهم اجعلنا ممن تناديهم يوم
القيامة: ﴿ يَبْعَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ ٦٨ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا
مُسْلِمِينَ ﴿ أَدْخِلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ مُّحْبَبُونَ ﴾ ٧٠ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ
وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ ٧١ ﴾ وَتِلْكَ
الْجَنَّةُ الَّتِي أَوْصَيْنَاكَ بِهَا كُنْتَ تَعْمَلُونَ ﴿ ٧٢ ﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿ ٧٣ ﴾

[الزخرف: 68-73].





الخاطرة العاشرة: قصة صاحب الجنتين

﴿وَأَصْرَبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۚ﴾
 ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ أُكْلُهُمَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَاهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ
 لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ
 قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ
 خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ
 نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ
 جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي
 أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ
 يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيط بِشَرِّهِ فَاَصْبَحَ يَقْلُبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ
 فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِتْنَةً يَبْصُرُونَهُ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾



هذه القصة مهداة إلى كل شاب متحمس يبحث عن الأسلوب الأمثل
 للحوار البناء لإظهار الحق ضد دعوى الباطل. والقصة تضمنت عدة
 دروس وعبر سنستنتج بعضاً منها إن شاء الله بعد التعرض للقصة. فمع
 القصة وأحداثها الشيقة والتي أرجو أن تستشعر من خلالها قوله تعالى:
 ﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿١٧٦﴾ [الأعراف: 176].



أهمية ضرب الأمثال...

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾

يقول الله تعالى بعد ذكره المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين، وما افتخروا به عليهم بأموالهم وحسبهم، فضرب لهم مثلاً برجلين.

﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾

جعل الله لأحدهما جنتين جميلتين، سنأتي على وصفهما إن شاء الله، وجعل للآخر الإيمان والحكمة.

وقبل أن أسترسل في القصة.. أرجو منك أيها القارئ الكريم أن تتلذذ الوصف الرباني لهذا المشهد الجمالي العجيب. وتخيل عندما يطلق رب العالمين على موقع في الأرض وصف جنة! يا ترى ما نسبة الجمال؟.. وكيف هي مواصفات هذه الجنة التي استحققت أن يطلق عليها رب العزة وصف الجنة؟

لنعش ونتأمل الوصف الرباني الجميل: ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ﴾ جنتان من أعناب، أي بستانين من كروم متنوعة، محفوفتان بالنخيل ﴿وَحَفَفَتْهُمَا بِنَخْلٍ﴾ الحفّ أي الإحاطة، المحدقة في جنباتهما ومن خلالهما الزروع ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ جعلنا بين الجنتين أرضاً جامعة من الأشجار والزروع المثمرة في غاية الجودة، وهي متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها إلا أصل الخير وهي الأنهار ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ والأنهار سارحة متفرقة فيهما هنا وهناك للسقي والتنزه. منظر قمة في الجمال لا تستطيع ريشة رسام ماهر رسمه ﴿كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا﴾ أي أخرجت ثمارها الوفيرة الطيبة ذات الجودة العالية. ﴿وَلَمْ تَظَلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أي: على أكمل وجه، ولم تنقص منه شيئاً. وهذا الوصف

بهذه الصفة للاستشعار بأنهما على خلاف ما يعتاد في سائر البساتين فإنها في الغالب تكثر في عام، وتقل في عام.

هل تأملت أخي الكريم الوصف الجميل الدقيق الذي يسلب العقول في أقل من سطر ونصف. هلا تعلمنا وعلمنا فن الكتابة والتعبير من القرآن الكريم؟

والسؤال: ماذا بعد هذا الوصف الرباني الجميل لهذه الجنة؟.. وماذا فعل صاحب الجنة بجنتيه؟.. وماذا عن الرجل الثاني في القصة؟

الكبر والغرور...

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (٣٤) وكان له مال وفير وخدم وحشم فتجبر وقال صاحب الجنتين لصاحبه الفقير ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ والمعنى يراجعه الكلام ويجاوبه. قال له بكل غرور وسخرية: ألا ترى؟ أنا صاحب الجاه والمال والعز والولد. قال قتادة: تلك والله أمنية الفاجر، كثرة المال وعزة النفر. وأنا أقول وهذا هو والله موقف الكفرة الفجرة في كل زمان ومكان بل ما من قرية أرسل الله فيها من نذير إلا قال سادتها ومترفوها نحن أكثر أموالاً وأولاداً. استمع حفظك الله إلى رب العزة جل ذكره في سورة سبأ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٣٤) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (٣٥) [سبأ: 34-35].

وقد ذكر القرآن الكريم لنا بعض الشخصيات المتكبرة التي اغترت بالمال والولد وسماها بأسمائها لتكون عبرة وآية لمن خلفها. ولعل أول المفسدين هو فرعون لعنه الله حين صاح ونادى بأعلى صوته مستهزئاً بموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْفَوْرَ الَّذِينَ لِي مُلْكٌ مِّصْرَ وَهَٰؤُلَاءِ الْأَنْهَارُ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِي أَفَلَا بُصُرُونَ﴾ (٥١) [الزخرف: 51].

كفر النعم...

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۖ ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِّدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ۖ﴾ ﴿٣٦﴾

لا شك أن الكبر يقود صاحبه إلى الكفر. وهذا ما حصل مع صاحب الجنتين فأول ما نطق افتخر بكل عزة وكبر بما يملك من مال وأبناء.

والنتيجة...؟

كفر بأنعم الله، ووثق بزهرة الحياة الدنيا الفانية، وكذب بوجود الآخرة الباقية الدائمة. أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه. وقام يقول: لا أعتقد أن تفنى هذه الجنة أبداً، ولن تقوم الساعة، وإن قامت ورجعت إلى ربي ليعطيني خيراً من هاتين الجنتين. هكذا، كفر بواح!

مسكين يحسب أن ماله أخلده، وهذا، كما يقول علماء التفسير، لا يخلو من أمرين: إما أن يكون عالماً بحقيقة الحال، فيكون زيادة كفر إلى كفره، وإما أن يكون هذا ظنه في الحقيقة، فيكون من أجهل الناس، وأبخسهم حظاً من العقل، فأى تلازم بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة بجوار الرحمن، حتى يظن بجهله أن من أعطي في الدنيا أعطي في الآخرة، بل الغالب أن الله تعالى يزوي الدنيا عن أوليائه وأصفیائه، ويوسعها على أعدائه، الذين ليس لهم في الآخرة نصيب، والظاهر أنه يعلم حقيقة الحال، ولكنه قال هذا الكلام على وجه التهكم والاستهزاء، بدليل قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ ﴿٣٦﴾ فإثبات أن وصفه الظلم، في حال دخوله، الذي جرى منه، من القول ما جرى، يدل على تمرده وعناده. والله سبحانه أعلم.

سؤال: قد يسأل سائل: لم أفرد الله سبحانه وتعالى الجنة ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ بعد التثنية في بداية القصة ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾؟ الجواب، والله تعالى أعلم، ما قاله صاحب الكشف: يعنى أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون يوم الحساب، فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير.

التمني...

ثم يكمل الظالم لنفسه حديثه مع صاحبه ويقول له:

﴿وَلَيْنِ زُودَتْ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ (٣٦)

قسم منه على أنه إن ردَّ إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير ليجدَنَّ في الآخرة خيراً من جنته في الدنيا، تظمناً وتمنياً على الله، وادّعاءً لكرامته عليه ومكانته عنده، وأنه ما أولاه الجنتين إلا لاستحقاقه واستئصاله، وأنَّ معه هذا الاستحقاق أينما توجه! وهذا حاصل ومشاهد في كل زمان ومكان يقول سبحانه في موضع آخر من القرآن الكريم على لسان المتكبرين: ﴿وَلَيْنِ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾ [فصلت: 50]، وقوله: ﴿لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: 77].

الحوار العقلاني...

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ (٣٧)

هذه هي الدعوة الصحيحة. دعوة الأنبياء، الأنقياء الأنقياء الأخفياء ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ لم يعنفه أمام العامة والخاصة بل وعظه بالحكمة والموعظة الحسنة وجادله بالتي هي أحسن ولم يستخدم عقيدة قابيل العدائية

﴿لَا قُنُوتُكَ﴾.

لنستمع معاً إلى هذا الحوار العقلاني الهادي والمهم والذي دار بين الداعية الواعي وذلك الغني الجاهل المغرور.

قال له صاحبه المؤمن، ناصحاً له، ومذكراً له حاله الأولى، حال ضعف النُطفة، التي أوجده الله فيها في الدنيا، إلى القوة التي أمكنه معها الخصام ﴿خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ فهو الذي أنعم عليك بنعمة الإيجاد والإمداد، وواصل عليك النعم، ونقلك من طور إلى طور، حتى سواك رجلاً، كامل الأعضاء والجوارح، فكيف يليق بك أن تكفر بالله الذي خلقك من تراب، ثم من نطفة ثم سواك رجلاً، وتجدد نعمته، وتزعم أنه لا يبعثك، وإن بعثك أنه يعطيك خيراً من جنتك؟!!

بهذا المختصر المفيد وهذا الاستفهام التوبيخي اختصر الفقير دعوة أخيه الغني الذي لم يعرف قدرًا للنعمة التي خصها وكيفية شكرها وشكر منعمها. فهو اكتفى بالقول الحسن واللين والدعوة السلمية ولم يستخدم يده وسلاحه في وجه أخيه فما زال يحاول ويكن الخير لأخيه ليعيده إلى الصواب والعجادة بالتي هي أحسن وأعتقد أنه سوف ينجح في نهاية المطاف كما سئرى. ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: 53].

فيا أحبتي يجب أن لا تمر علينا آيات الله بدون تدبر وتفكر فالباري سبحانه وتعالى أخبر عن الكفار بأنهم بلغوا من العناد والكفر الغاية التي لارجاء لراجٍ معها استجابة، فقال الذي يعلم السر وأخفى سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [الحجر: 14-15]. ومع ذلك الكشف لما أدركه من أحوالهم وعاقبة مسحورون ﴿١٥﴾ [الحجر: 14-15]. ومع ذلك الكشف لما أدركه من أحوالهم وعاقبة أمرهم بعلمه الذي لا يتغير ولا يتطرق إليه ريب أمر رسوله محمد ﷺ بالبلاغ،

وحثه على الإنذار لهم، والصبر على أذاهم، واللفظ والإحسان إليهم، والعفو عنهم لعلهم يرجعون، كما أمر نبيه وكليمه موسى عليه السلام باللين في القول لفرعون مع العلم بعاقبة أمره. فيا لها من رحمة.

فيا أيها الشاب المتحمس لدينه...

هذا كتابنا ينطق بالحق، لا تغلو في دينك، ولا تقل على الله غير الحق. أنا أعلم أن ما يدور حولك من غلظة وشدة على الإسلام والمسلمين يزعجك كما يزعجني، ويزعج الملايين معنا، وتنادي بالجهاد، وحمل السلاح في وجه العدو المتجبر. ولكن حماسك غير المتزن، وقلة فقهك بعقيدة التوحيد، وضربك بعرض الحائط للحق، وجهلك بحقيقة الجهاد في سبيل الله. وعدم أخذ النصيح من العلماء قاذك لحمل السلاح على الجميع حتى أقرب الناس إليك. وأصبحت لا تفرق بين الطالح والصالح! فكل من حولك، بنظرك القاصر، كافر إلا من اتبع ملتك، أيعقل هذا؟ أين أنت من حديث الرسول ﷺ والذي يقول فيه: " من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حُجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية " [رواه مسلم].

يا أخي المتحمس: أسألك بالله العظيم أن تعود إلى كتاب " زاد المعاد في هدي خير العباد " للإمام ابن القيم الجوزية وتقرأ فصل هديه ﷺ في الجهاد والغزوات. فإني، بإذن الله، على يقين أنك ستغير من نظرتك الخاطئة لعقيدة الجهاد.

فيا صاحبي...

إن الغلو في الدين آفة عظيمة، جر من الأخطاء العظيمة، والمصائب الجسيمة من تشويهه لصورة الإسلام، وتنفير الناس عنه الشيء الكثير لذلك حذرنا ربنا جل وعلا منه في كتابه الكريم، وعلى لسان رسوله الكريم، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: 171]. ومن السنة ما رواه الإمام أحمد وبعض أهل السنن عن حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: "إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين".

والأحاديث في هذا الباب كثيرة منها قوله ﷺ: "ألا هلك المتنطعون" وقوله: "إن هذا الدين متين فأوغلوا منه برفق" وقوله: "إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى" وقوله: "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا" وقوله: "لا تشددوا فيشدد عليكم".

ويقول مصطفى السباعي: الذين يسيئون فهم الدين أخطر عليه من الذين ينحرفون عن تعاليمه، أولئك يعصون الله وينفرون الناس من الدين وهم يظنون أنهم يتقربون إلى الله، وهؤلاء يتبعون شهواتهم وهم يعلمون أنهم يعصون الله ثم ما يلبثون أن يتوبوا إليه ويستغفروه.

وهنا، أدعوك أخي الكريم إلى التأمل والتدبر في قوله تعالى في سورة الممتحنة:

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أي لعل الله عز وجل يغير الحال، فيجعل بينكم وبين الذين عاديتهموهم قبل إسلامهم محبة ومودة، محبة بعد البغضاء، ومودة بعد النفرة، وألفة بعد الشحنة. ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ أي قادر لا يعجزه شيء، يقدر على قلب القلوب

وتغيير الأحوال، والجمع بين الأشياء المتنافرة والمتباينة والمختلفة فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة فتصبح مجتمعة متفقة. وفي الحديث "أحب حبيبك هوناً ما فعسى أن يكون بغضك يوماً ما، وأبغض بغضك هوناً ما فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما". وقال الشاعر:

وقد يجمع الله الشيتين بعدما

يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وهو سبحانه واسع المغفرة، أي يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأنابوا إلى ربهم وأسلموا له، وهو الغفور الرحيم لكل من تاب إليه من أي ذنب كان.. والحكم لله العلي الكبير.

إخواني: تذكرت وأنا أخط بيمينني هذه الصفحة الفترة الحرجة التي عاشها الرسول ﷺ والصحابة الكرام في غزوة أحد حين دارت الدائرة عليهم وبلغت القلوب الحناجر.. واختلط الحابل بالنابل.. قُتل صفوة من الصحابة الكرام على رأسهم حمزة بن عبدالمطلب.. وشُج رأسه وكُسرت رباعيته ﷺ فجعل يسيل الدم منه.. تألم لما رأى ودعا على أفراد من المشركين بالعذاب قائلاً: "كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى الله عز وجل؟" فأنزل الله تعالى عليه قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٢٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ [آل عمران: 129-128]. أي: فاصبر حتى يتوب الله تعالى عليهم أو يعذبهم بظلمهم فإنهم ظالمون بمقاومة الصلاح الذي يمثله منهج الإسلام للحياة وشريعته ونظامه.. إلى آخر صنوف الظلم الكامنة في الكفر والصد عن سبيل الله. ولله ما في السماوات وما في الأرض ملكاً وخلقاً يتصرف كيف

يشاء ويحكم ما يريد فإن عذب فبعده وإن رحم فبفضله، وهو الغفور لمن تاب.. الرحيم بمن أناب.

وهذا الذي قيل لمحمد ﷺ بصيغته التي لا التواء فيها ولا غموض.. فالله وحده ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ أي هو المتصرف فلا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يُسألون.. والله وحده ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وليس على الفئة المؤمنة إلا أن تطمئن إلى هذه الحقيقة التي لم تنسخ. وعلى أي حال فهي حكمة الله، وليس لبشر منها شيء.. حتى رسول الله ﷺ يخرج النص من مجال هذا الأمر ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ليجرده لله وحده سبحانه فهو شأن الألوهية المتفردة بلا شريك ولا منازع... آمنت بالله.

لطيفة: تأمل أخي الكريم رحمة الله عز وجل في الآية السابقة: كيف لما ذكر تعالى توبته على الكفار أسند الفعل إليه، ولم يذكر منهم سبباً موجباً لذلك، ليدل ذلك على أن النعمة محض فضله على عبده، من غير سبق سبب من العبد ولا وسيلة، فقال: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ ولما ذكر العذاب ذكر معه ظلمهم، ورتبه على العذاب بالفاء المفيدة للسببية، فقال: ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾... سبحانه الله.

إخواني: الآية السابقة تذكرنا بتوجيه رباني مهم ذكر في سورة التوبة حين أمر سبحانه وتعالى بقتال الكفار وما يترتب على قتالهم من الفوائد، فقال: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّكُمُ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۚ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التوبة: 14-15].

ومن هذا التلخيص الرباني الواضح لفوائد الجهاد في الإسلام تتجلى حقائق أصيلة وعميقة في المنهج الحركي لهذا الدين العظيم، جديرة بالوقوف أمامها طويلاً. وتدريسها في المساجد ودور العلم. ولكننا في هذه الوريقات، وكما وعدنا، لا نملك إلا أن نشير إليها إشارات مجملّة:

﴿قَتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾.

قاتلوهم يجعلكم الله ستار قدرته، وأداة مشيئته، فيعذبهم بأيديكم.

﴿وَيُخْزِهِمْ﴾

بنصركم عليهم وهزيمتهم وهم يتخايلون بالقوة على الشعوب والدول الضعيفة.

﴿وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾

هذا وعد من الله وبشارة بالظفر والغلبة عليهم.

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾

ويشف صدور جماعة من المؤمنين ممن آذاهم وشردهم المشركون. يشفها من غيظها المكظوم، بانتصار الحق كاملاً، وهزيمة الباطل، وتشريد المبطلين وعلى رأسهم أئمة الكفر.

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾

فإن في قلوبهم من الحنق والغيط عليهم ما يكون قتالهم وقتلهم شفاء لما في قلوب جماعة من المؤمنين من الغم والهم، إذ يرون هؤلاء الأعداء محاربين لله ولرسوله، ساعين في إطفاء نور الله، وزوالاً للغيط الذي في قلوبهم، وهذا يدل على محبة الله لعباده المؤمنين، واعتنائه بأحوالهم النفسية إلى جانب الجسدية،

حتى إنه جعل - من جملة المقاصد الشرعية - شفاء ما في صدورهم وذهاب غيظهم. يا لرحمة الله.

وليس هذا وحده ولكن خيراً آخر يُنتظر وثوباً آخر يُنال:

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾

أي من الكفار المحاربين، بأن يوفقهم للدخول في الإسلام، ويزينه في قلوبهم، ويكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان. وهذا من فضل الله ورحمته ولطفه بعباده! ومن يقرأ تاريخ المعارك والحروب الإسلامية سيقف على كثير من القصص المؤثرة لقادة كانوا من أشد الناس غلظة وشدة على المسلمين ولكنهم وبرحمة من الله أسلموا وتابوا وعملوا عملاً صالحاً، وفتحوا المدن وأسلم على أيديهم الخلق الكثير.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾

أي بما يصلح عباده، ويعلم من يصلح للإيمان فيهديه، ومن لا يصلح فيبقيه في غيه وطغيانه.

﴿حَكِيمٌ﴾

في أفعاله وأقواله الكونية والشرعية فيفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وهو العادل الحاكم، ولا يضيع مثقال ذرة من خير وشر، بل يجازي عليه في الدنيا والآخرة. فيا أخي لا تجزع ولا تحزن. ثق بالله وتوكل على الله.

فائدة: قال الرازي: أمر تعالى بقتالهم وذكر فيه خمسة أنواع من الفوائد، كل واحدة منها يعظم موقعها إذا انفردت، فكيف بها إذا اجتمعت؟

أرجو أن تعذرني أخي القارئ في استرسالي السابق ولكنها أمانة الكلمة والموقف

المطلوب في هذه الأيام فعقيدة الجهاد والولاء والبراء أصابها ما أصابها من عدم فهم وغلو من طائفة من أبناء المسلمين. فوجب التنبيه... ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فُحْكُمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: 10].

إعلان التوحيد...

﴿لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿٣٨﴾

الرجل الفقير لم يغضب على صاحب الجنة المغرور إن كانت له جنة أو جنان، إنما غضب عليه لأنه كان ذا فكر ومنطق سخي. ما معنى أن يقول: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾... ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾... ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِمَّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾. ولماذا يا أحمق تكافأ بجنة خير من جنتك عند ربك؟ مكافأة على الكفر والتطاول على الله؟

لما رأى صاحبه المؤمن حاله واستمراره على كفره وطغيانه، قال مخبراً عن نفسه، على وجه الشكر لربه، والإعلان بدينه ﴿لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ فأقر بربوبيته لربه، وانفراده فيها، والتمزم طاعته وعبادته، وأنه لا يشرك به أحداً من المخلوقين.

نعم، هكذا هو صاحب الدعوة الصادق. هكذا هو الموحد لا تغره الزينة والزخرف وإن كثرت، بل يبقى مردداً في وجه الكفر والفتن ﴿لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ فالتوحيد الخالص أساس العقيدة الصحيحة والله عز وجل يقول: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: 19].

النصيحة...

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾

تجنب الفقير الفضيحة عند النصيحة. لم يردد هنا وهناك ما قال صاحبه، ولم يشوه سمعته ويصفه بالكفر والزندقة والإلحاد على المالأ ولم يبحث مع المفتين ما نوع العقاب الذي يستحق. ولم يسأل: هل كفر صاحبه وخرج من الملة؟ وهل يجوز التشهير به لأنه من الفاسقين؟ وهل يجوز قتله؟ الجواب: لا. بل نصحه بانفراد وبهدوء وحكمة بالغة.. وجعله يتساءل مع نفسه وفطرته، لذا وجدنا الكافر يفتح أذنيه وقلبه للداعية ويستمع باصغاء إلى كل ما يقول ولم يقاطعه بل تركه يسترسل في نصحه حتى فرغ. وصدق الإمام الشافعي حين قال: **تعمدني بنصحك في انفرادي**

وجنبني النصيحة في الجماعه

إن النصح بين الناس نوع

من التوبيخ لا أرضى استماعه

وإن خالفتني وعصيت قولي

فلا تجزع إذا لم تعط طاعه

وهي والله قمة في الحكمة والتصرف. اسمع حفظك الله إلى وصية الله عز وجل وهو يقول: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34].

والنتيجة: بعد أن أعلن الداعية التوحيد الخالص ووجود بعض القبول عند صاحبه، بدأ ينصحه وقال له مذكراً: إن العبد ينبغي له إذا أعجبه شيء من

ماله أوولده أن يضيف النعمة إلى موليتها ومسديها، وأن يقول: "ما شاء الله، لا قوة إلا بالله" ليكون شاكراً لله متسبباً لبقاء نعمته عليه. وفيها: الإرشاد إلى التسلي عن لذات الدنيا وشهواتها، بما عند الله من الخير.

أدب الإسلام أن تنظر إلى نعم الله عندك على أنها فضل الله عليك ومنته، ومن دعاء المسلم لربه: "اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت".

وهنا نصيحة من الحبيب محمد ﷺ أجد المقام مناسباً جداً لذكرها. روى الطبراني عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: "من أنعم الله عليه نعمة فأراد بقاءها فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله".

وعن عروة بن الزبير أنه كان يثلم حائطه أيام الرطب، فيدخل من شاء. وكان يردد هذه الآية حتى يخرج ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

أيها الأحبة: نحن نذكر هذه الوقفات بهدف تطبيق ما نستطيع منها للارتقاء بأدائنا بين الأمم والشعوب، وهذه التوجيهات الربانية هي التي جعلتنا من خير وأفضل الأمم بقيادة الحبيب محمد ﷺ. لذا نحن نأمل منك أخي القارئ أن تنتقل من مرحلة العلم إلى العمل. وقد أشرت إلى أهمية هذه النقطة المهمة في كتابي "من أسرار نجاحي" فليراجع الكتاب من أراد المزيد من التوضيح.

حسن الظن بالله...

﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۖ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ۖ﴾ ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾

وهنا نصيحة للشباب المسلم لا بد من الحكمة والموعظة الحسنة عند الدعوة، ولا بد من التدرج والإقناع، والأخذ بكل الأساليب والطرق قبل الحكم على الطرف الآخر، وسنرى معاً كيف أن صاحبنا لم يستخدم يده للعنف ولسانه للغلظة والشدة بل استخدم يده بأن رفعها إلى السماء، ودعا على من كان سبباً في إضلال صاحبه وهو المال الوفير. دعا على جنة المؤمن غضباً لربه، لكونها غرته وأطغته، واطمأن إليها، لعله ينيب، ويراجع رشده، ويبصر في أمره.

هل لاحظت حفظك الله دعا على من كان سبباً في إضلال صاحبه.. ولم يدعُ على صاحبه بأن يجمد الله الدم في عروقه أو ييتم أطفاله أو يشل أركانه أو.....! كما يدعو البعض منا في هذه الأيام المباركة!

﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾

أي: مقداراً قدره الله وحسبه. وقيل "حسباناً" تعني مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق.

﴿فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾

أرضاً بيضاء يزلق عليها لملامستها.

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾

أي: يصبح مأوها غائراً في الأرض لا يستطيع الوصول إليه بالمعاول ولا غيرها من الآلات.

ولو بعد حين...

﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ﴾

عندما كفر الغني بالنعمة ولم يؤد شكرها دعا صاحبه الصالح على من كان سبباً في إضلال صاحبه. ولصدق حرصه على صاحبه استجاب الله دعوة العبد الصالح الفقير، وسلط سبحانه جنوده على الجنتين لا على صاحب الجنتين، وهذا من لطف الله ورحمته بعبده. كما قال سبحانه: ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ﴾ جاءه أمر أحاط بجميع محاصيله وخرب جنته ودمرها بالكلية فلا عودة لها وذلك ضد ما كان عليه أمله حيث قال: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾. وصدق الشاعر لبيد حين قال:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وكل نعيم لا محالة زائل

أصابه عذاب أحاط به، فلم يبق منه شيء، فندم كل الندامة، واشتد لذلك أسفه وتمنى لولم يشرك بالله كما سنرى في الآيات التالية.
فلنتابع أحداث القصة معاً.

حيث لا ينفع الندم...

﴿فَأَصْبَحَ يَقْلُبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾^(٤٢)
﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا﴾^(٤٣)
﴿فَأَصْبَحَ يَقْلُبُ كَفِّهِ﴾

وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر، لأنَّ النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن.

وكانني به يصيح ويردد: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ۖ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ [الحاقة: 28-29].

﴿عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾

على كثرة نفقاته الدنيوية عليها، حيث اضمحلت وتلاشت، في لمح البصر كما أخبر الله تعالى عن سرعة انتقامه: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: 50]. فلم يبق لها عوض.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾

يعني أنّ كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض، وسقطت فوقها الكروم. وندم أيضاً على شركه بالله وقال:

﴿يَلَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾

بدأ ندمه بكلمة يا ليتني وهي كلمة ألجئ إليها فقالها جزعاً مما دهاه من شؤم كفره، ولولا ذلك لم يقلها.

تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتى من جهة شركه وطغيانه، فتمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يهلك الله بستانه ومصدر رزقه. ولم يستطع أحد من خدمه وحرسه نصرته ومنع أمر الله من الوقوع حتى حاشيته التي تزين له صباح مساء سوء عمله، وتنزله منزلة لا يستحقها لم تكن لتمنع أمر الله وقدره، وتركته وحيداً يواجه أزمته المالية والاقتصادية وعينه على حساباته وأرصده التي بدأت تطير إلى غير رجعة وهو ينظر حيراناً لا يقدر على شيء. ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا﴾ [٤٣]. في ذلك المقام وتلك الحال النصره لله وحده، لا يملكها غيره، ولا يستطيعها أحد سواه وهنا يأتي التأكيد الرباني

﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ ﴿٥٤﴾ فمن كان مؤمناً به تقياً، كان له ولياً، فأكرمه بأنواع الكرامات، ودفع عنه الشرور، ومن لم يؤمن بربه ويتولاه، خسر دينه ودنياه. وذلك هو الخسران المبين.

ولنا رأي...

ولا يستبعد من رحمة الله ولطفه وكرمه، أن صاحب هذه الجنة، التي أحيط بها، تحسنت حاله، ورزقه الله الإنابة إليه، وراجع رشده، وذهب تمرده وطغيانه، بدليل أنه أظهر الندم على شركه بربه، وأن الله أذهب عنه ما يطغيه، وعاقبه في الدنيا، وإذا أراد الله بعد خيراً عجل له العقوبة في الدنيا. وفضل الله لا تحيط به الأوهام والعقول، ولا ينكره إلا ظالم جهول.

وهذا مشاهد في أيامنا هذه، فهناك الآلاف من قصص التائبين والتائبات يرويها ويكتبها لنا العلماء والدعاة والأفاضل من الناس عن أناس كانوا أقرب إلى الكفر والزندقة بل إن بعضهم كان كافراً فرزقهم الله من رحمته وتابوا وأنابوا بل وأصبح بعضهم من الدعاة المؤثرين، فرحمة الله ليس لها حدود. فقد كتبها الله على نفسه. وصدق الله حيث يقول: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبْتُ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأنعام: 54]. ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ

مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ [الشورى: 25].

أيها الكرام...

وقبل أن أنتقل معكم إلى خاتمة هذه القصة والدروس المستفادة منها أود أن أذكركم بقصة أصحاب الجنة والتي جاء ذكرها في سورة القلم نظراً لتشابهها الشديد مع قصتنا هذه من بدايتها إلى نهايتها. فأرجو منكم التدبر والتركيز فإنني لن أعلق هنا، وسأترك التعليق لكم. وإليكم الآيات البينات. يقول سبحانه: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادُوا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَتْهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَدَرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلِزَّا قُلُوبَنَا لَوْلَا تَنَسَّيْنَا ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا بَنِيَّ إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [القلم: 17-33].

وختاماً هناك العديد من الدروس والعبر يستفاد منها في هذه القصة نذكر بعضها منها:

- 1 - لا ينبغي لأحد أن يركن إلى الحياة الدنيا، ولا يغتر بها، ولا يثق بها بل يجعل طاعة الله والتوكل عليه في كل حال نصب عينيه. وما يصيب العالم اليوم من أزمات اقتصادية واجتماعية إلا نتيجة للركون إلى الحياة وزخرفها والجري وراء ملذاتها بدون وازع.
- 2 - أن من قدم شيئاً على طاعة الله والإنفاق في سبيله عُذِبَ به، وربما سلب منه معاملته له بنقيض قصده. فيجب أن ننتبه لهذه النقطة جيداً.
- 3 - من الواجب قبول نصيحة الأخ المشفق لأن مخالفته وبال ودمار على من رد النصيحة الصحيحة.

4 - أن الندامة لا تنفع إذا حان القدر ونفذ الأمر المحتوم. فالله المستعان وعليه التكلان.

5 - كيفية كظم الغيظ والغضب وحتى إذا أبدى الطرف الآخر الكفر والعناد. فيجب الصبر على الناس ومخالفاتهم الشرعية.

6 - إبراز القيم الباقية في وجه المال والجاه والسلطان. وما عند الله خير وأبقى.

7 - المال والولد لا ينفعان، إن لم يعينا على طاعة الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبا: 37].

آخر همسة...

وقبل أن أضع القلم جانباً وأختم هذه القصة أود منك يا صاحبي أن تقرأ وتتدبر الآيات التالية من سورة فصلت والتي تربطها بالقصة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُرَّ حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: 33-36].





الخاطرة الحادية عشرة: تذكرة لنا جميعاً



﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنِدًا﴾



هذه المرة ترتبط التذكرة مع القصة التي سبقتها لتقول لنا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [فاطر: 5]. وهذا بيت القصيد. مرة أخرى في هذه السورة المباركة، ومن رحمة الله علينا، يذكرنا المولى عز وجل بالحياة الدنيا وزينتها. وهذا فضل منه سبحانه ومنّة.. وكأنها لمسة ربانية حانية تطلب منا أن نتوقف من وقت لآخر ونحن نسير في خضم الحياة لتتذكر حقيقة الحياة الدنيا، حتى لا نركن إليها وتنسينا دار المقامة عند الرحمن.. لا بد لنا جميعاً من وقفة مصارحة مع النفس لنصل إلى حقيقة ربانية مهمة جداً. حقيقة الحياة.. دار الفناء لتبقى قلوبنا معلقة بدار البقاء.

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

يا محمد: اضرب للناس مثل الحياة الدنيا ليتصوروها حق التصور، ويعرفوا ظاهرها وباطنها، فيقيسوا بينها وبين الدار الباقية.



﴿كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾

وأن مثل هذه الحياة الدنيا كمثل المطر، ينزل على الأرض، فيختلط نباتها، وتنبت من كل زوج بهيج، وتسرع الناظرين.

﴿فَأَصْبَحَ حَشِيمًا نَذْرُهُ الرِّيحُ﴾

فبينما زهرتها وزخرفها تسرع الناظرين، وتفرح المتفرجين، وتأخذ بعيون الغافلين، إذ أصبحت وبسرعة هشيمًا تذروه الرياح فذهب ذلك النبات الناضر، والزهر الزاهر، البهي، فأصبحت الأرض غبراء تراباً، قد انحرف عنها النظر، وصدف عنها البصر، وأوحشت القلب، كذلك هذه الدنيا، بينما صاحبها قد أعجب بشبابه، وفاق فيها على أقرانه وأترابه، وخاض في الشهوات وظن أنه لا يزال فيها سائر أيامه أصابه الموت أو التلف لماله، فذهب عنه سروره، وزالت لذته، واستوحش قلبه من الآلام وفارق شبابه وقوته وماله.

ربما نحن في الخليج العربي نستطيع أن نتصور هذا المثل الرباني جيداً ففي فترة الصيف الحار وعندما تبلغ درجة الحرارة ما يقارب 50 درجة مئوية في المناطق الصحراوية ترى الأرض جامدة، موحشة، لا حياة فيها ما يدفع البعض للسفر إلى البلاد الباردة أو المعتدلة الحرارة. وما إن يحل علينا الشتاء الجميل وتسقط الأمطار حتى ترى الأرض وكأنها غير الأرض. عروس ازينت في يوم عرسها، فترى الأرض وقد ازينت، وأخرجت عشبها وشجرها، وفرحنا بها فرحاً شديداً وخاصة في الأيام التي تصل درجة الحرارة فيها إلى أدنى مستوياتها حيث تقترب من الصفر في بعض المناطق لا سيما الجبلية، فتجد العائلات فرحة بالبر وعشبه الأخضر الجميل وتقضي معظم الساعات تسرح وتمرح مستمتعة بما أنعم الله به عليها. وما هي إلا أسابيع قلائل حتى تعود الأرض جرداء موحشة. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدًا﴾. فسبحان الله.



الخاطرة الثانية عشرة: الباقيات الصالحات



﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ
أَمَلًا﴾ [٤٦]



وعلى ضوء القصة السابقة، قصة صاحب الجنتين، نفهم التعليق الإلهي على الآية
المتصدرة لهذه الخاطرة.

حقيقة لا ينكرها القرآن الكريم المال محبب إلى النفس البشرية كما أخبر
سبحانه وتعالى: ﴿وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [٢٠] [الفجر: 20]. المال الوفير،
والولد زينة الحياة الدنيا. ومن يتمتع بهاتين النعمتين يعرف هذه الحقيقة
جيداً. والكفار دائماً يتفاخرون ويقولون ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذِّبِينَ﴾ [٣٥] [سبأ: 35]. فهم يتفاخرون بالمال والولد.

ولكن هناك حقيقة ربانية مهمة وهي الأفضل! فهي تحمي الولد وتزيد المال
بركة ونماء. وهي الباقيات الصالحات.

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾



ماهي الباقيات الصالحات؟

فيها خمسة أقوال: أحدها: أنَّها "سُبْحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاَّ الله، والله أكبر".

الثاني: أنَّها " لا إله إلاَّ الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا قوَّة إلاَّ بالله".

الثالث: أنَّها " الصلوات الخمس".

الرابع: أنَّها " الكلام الطيب".

الخامس: أنَّها "جميع أعمال الخير التي ييسرها الله لعباده وتبقى ثمرتها للإنسان".

ونحن نؤيد القول الخامس... ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [٧٦] [مریم: 76].

وقفه: إن المال والبنين كما يكونان زينة الحياة الدنيا يكونان عدوين للنصر والتمكين، كما قال تعالى لبني إسرائيل حين نصرهم: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: 6]. وفي الحديث الشريف: " نعم المال الصالح للعبد الصالح".





الخاطرة الثالثة عشرة: من مشاهد يوم القيامة



﴿ وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۖ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ۖ ﴾ (٤٨)



نعم أخي القارئ الكريم سنقف أنا، وأنت، وجميع الخلائق، مع الأولين والآخرين من الناس، حفاة عراة، لنشاهد بكل خوف وذهول هذه المشاهد والأهوال العظيمة من يوم القيامة. إنه يوم عصيب. جبال بملايين الأطنان تمر مر السحاب، يسيرها وينسفها ربي نسفا فيذرها قاعاً صفصفا. الأرض تتبدل بأنهارها وأشجارها وبحارها ومحيطاتها، وما تحمل على ظهرها وتخزن في بطنها إلى غير الأرض، ليس عليها بناء ولا شجر، وتتحول إلى أرض المحشر بأمر ربها. فسبحان القادر ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (٤٨) [إبراهيم: 48].

﴿ وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ ﴾

الجبال يزيلها عن أماكنها، يجعلها كثيباً، ثم يجعلها كالعهن المنفوش، ثم تضمحل وتتلاشى، وتكون هباءً منبثاً، قال ابن عباس: تُسِرُّ الجبال عن وجه الأرض، كما يُسِرُّ السحاب في الدنيا، ثم تُكسَّر فتكون في الأرض كما خرجت منها.



﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾

وتبرز الأرض فتصير قاعاً صفصفاً، لا عوج فيه ولا أمتاً، ظاهرة فليس عليها شيء من جبل أو شجر أو بناء.

﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٤٧) وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿

ويحشر الله جميع الخلق على تلك الأرض، فلا يغادر منهم أحداً، بل يجمع الأولين والآخرين، فيعرضون عليه صفّاً ليستعرضهم وينظر في أعمالهم، ويحكم فيهم بحكمه العدل، الذي لا جور فيه ولا ظلم ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (١٥) [الجنّة: 15]، ويقول لهم: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: 94]. أي: بلا مال، ولا أهل، ولا عشيرة، ما معهم إلا الأعمال، التي عملوها، والمكاسب في الخير والشر، التي كسبوها وقال هنا، مخاطباً المنكرين للبعث، وقد شاهدوه عياناً.

﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّنِي جَعَلْتُ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾

أنكرتم الجزاء على الأعمال، ووعد الله ووعيده، فها قد رأيتموه وذقتموه. وصدق الله وعده.

لاحظ أخي الكريم كيف تركز السورة على قضية البعث والنشور والحساب من موقع إلى آخر.

سؤال: قد يسأل سائل: لم جيء بحشرناهم ماضياً بعد نسيّر وترى بفعل المضارع؟ الجواب وبالله التوفيق: للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز، ليعاينوا تلك الأهوال العظام، كأنه قيل: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ قبل ﴿مَّوْعِدًا﴾ وقتاً لإنجاز ما وعدهم الله على ألسنة الأنبياء من البعث والنشور.





الخاطرة الرابعة عشرة: يوم الحساب

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٤٩)



بعد أن صور لنا القرآن أهوال الفترة التي تسبق الحساب وما فيها من مشاهد تقشعر منها الأبدان يبدأ الآن في وصف يوم الطامة الكبرى.. يوم البطشة الكبرى.. يوم التناد.. يوم الحساب. يوم مفاجآت وتغابن، فإن المشركين يوقنون بأنهم كانوا على خطأ، والعصاة يشعرون بمدى تفريطهم... فمع يوم الحساب!

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾

حينئذ تحضر كتب الأعمال التي كتبتها الملائكة الكرام، فتطير لها القلوب، فإذا رآوها مسطرة عليهم أعمالهم، مُحصى عليهم أقوالهم وأفعالهم. ولما كان أغلب الناس يفعل وينسى، وينسيه يومه الحاضر ما كان ويكون، فهو يدهش للإحصاء الدقيق الذي يواجهه فيصبح قائلاً:

﴿يُوَيْلَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾

قال المجرمون يا ويلتنا من هذا اليوم العصيب. يدعون على أنفسهم بالويل لوقوعهم في الهلاك ويتساءلون: وما هذا الكتاب الذي لا يترك خطيئة صغيرة ولا كبيرة، إلا وهي مكتوبة فيه، محفوظة لم ينس منها



عمل سر ولا علانية، ولا ليل ولا نهار، وهذا دليل على الإحاطة التامة.
﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنعام: 60].

وعن الفضيل رضي الله عنه: كان إذا قرأها قال: ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر.

﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾

وجدوا جزاء ما عملوا مكتوباً مثبتاً. لا يقدرّون على إنكاره، فحينئذ يجازون به، ويقرون به، ويخزون، ويحق عليهم العذاب، ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد فيكتب عليه ما لم يعمل. أُوْيزيد في عقاب المستحق، أو يعذبه بغير جرم ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: 47]. بل بالعكس من ذلك فالحسنة بعشر أمثالها. ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: 160].

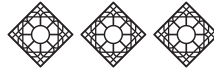




الخاطرة الخامسة عشرة: العدو الحقيقي



﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۝ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَلَا خَلَقَ الْمُضِلِينَ عَصَا ۝٥١﴾



﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ۖ﴾

وهذه المرحلة الأخيرة. هذه مرحلة من مراحل تذكير الكفار بنتيجة الإصرار على الكبر والعناد وما يقود إليه من كفر. وذلك من باب التهيب. ثم إن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يذكر هؤلاء المتكبرين، أرباب الخيلاء، عن مجالسة الفقراء قصة إبليس وما أورثه الكبر. أذكر ذلك الشيطان فإنه عدو مضل مبين. فعندما أمر سبحانه الملائكة لتسجد لآدم عليه السلام سجود تحية وتكريم ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجدوا جميعاً طاعة لأمر الله وامتنالاً لطلبه السجود ﴿فَسَجَدُوا﴾ إلا إبليس تمرد وتكبر ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أتاه الفسق لما أمر فعصى، فكان سبب الفسق أمره به. وسبب الفسق هو داء الكبر يقول تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: 12]. والنتيجة؟ خلود إبليس وذريته في نار جهنم.



﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾

وقف عز وجل الكفرة على جهة التوبيخ كأنه قيل: أعقب ما وجد منه من الإباء والفسق تتخذونه وذريته فتطيعونهم بدل طاعتي، وتستبدلونهم بي وهم لكم عدو؛ أي أعداء!

فائدة: الهمزة في كلمة ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ﴾ للإنكار والتعجب، كأنه قيل: أعقب ما وجد منه ومعصيته للسجود لآدم.. بل وتسبب في إخراج آدم وزوجه من الجنة، تتخذونه وذريته أولياء وتستبدلونهم بي؟

﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾

بئس عبادة الشيطان بدلاً عن عبادة الله الواحد القهار.

﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾

قال أكثر المفسرون: الضمير عائد على إبليس وذريته، والمعنى: ما أشهدت إبليس وذريته خلق السموات والأرض لأستعين بهم ولا أشهدتهم خلق أنفسهم.

﴿وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾

يعني الشياطين أعواناً. ﴿عَضُدًا﴾

أي: أنصاراً وأعواناً. وفي هذا بيان للاستغناء عن الأعوان، وإظهار كمال القدرة. سبحانه الله العظيم.. سبحانه الله وبحمده.

فائدة: العضد يستعمل كثيراً في معنى العون، وذلك أن العضد قوام اليد، ومنه قوله تعالى لموسى عليه السلام في سورة القصص: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: 35].

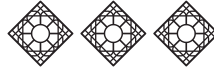




الخاطرة السادسة عشرة: يوم التحدي



﴿يَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٤﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَافِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٥﴾﴾



في ذلك اليوم العظيم، في ذلك اليوم المشهود، يقول الله سبحانه وتعالى بكل عزة وتحدي وكبرياء: أين شركائي؟ أين الذين جعلتموهم شركاء في الألوهية والعبادة فنادوهم ليخلصوكم مما أنتم فيه من العذاب والذل، ويجازوكم على عبادتكم إياهم؟! يخيم السكون فلا تسمع إلا همسا. والقرآن الكريم يصور المشهد الرهيب ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: 16]. ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾

أي: فعلوا ذلك. لا أحد يمنعهم.

﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ أي: لم يجيبوهم إلى نصرهم، ولم يكفوا عنهم شيئا. ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: 94].

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ قال أنس بن مالك: هو وادٍ في جهنم من قيح ودم.



﴿فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَافِعُوهَا﴾ "فَظَنُّوا" هنا بمعنى اليقين والعلم أي: فأيقنوا لا محالة أنهم واقعون فيها. ورأى المجرمون المكذبون النار وهي تتغيّظُ حنقاً عليهم.

﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ أي: مَهْرَبًا لإحاطتها بهم من كل جانب. يا له من موقف عصيب.

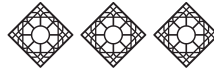




الخاطرة السابعة عشرة: مصدر العلم



﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾^[٥٤]



﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾

أي بيّنا في هذا القرآن الأمثال وكّرنا الحجج والمواعظ، ومنها قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيِّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾^[89].

وقال علي كرم الله وجهه: "من فهم القرآن فسّر به جُمْل العلم" أشار به إلى أن القرآن يشير إلى مجامع العلوم كلها.

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾

ولكن طبيعة الإنسان الجدُل والخصومة، وأن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء. ونحوه قوله تعالى في سورة النحل: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾^[4].

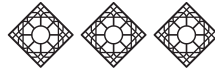




الخاطرة الثامنة عشرة: استفهام رباني



﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝٥٥﴾



يا له من أسلوب رحمة.. ليت شعري.. أي رحمة.. وأي حب يمكنه الله عز وجل للناس جميعاً، بدون استثناء لأمة أولعق ولون! ومعنى الآية الكريمة: أي ما منع الناس من الإيمان حين جاءهم الهدى من الله، ومن الاستغفار من الذنوب والآثام إلا انتظارهم أن تأتيهم سنة الأولين وهي الإهلاك، أو يأتيهم عذاب الآخرة عياناً ومقابلة. ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۝٢٧ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝٢٨﴾ [الدخان: 25-28].
وبقى النداء الرباني الخالد ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ۝٢٩﴾ [الدخان: 29].

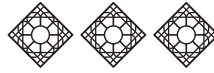




الخاطرة التاسعة عشرة: وظيفة الرسل



﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَمُجَادِلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخِذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ ﴿٥٦﴾



والمقصود هنا من قوله تعالى في هذه الآية: أيها الناس: ما نرسل الرسل إلا لغرض التبشير، والإنذار، لا للإهلاك والدمار، ولكن ومع وضوح الحق يجادل الكفار بالباطل ليغلبوا به الحق ويبطلوه فهم حين يطلبون الخوارق ويستعجلون العذاب لا يريدون الإيمان وإنما يستهزئون ويسخرون.

فائدة: ﴿لِيُدْحِضُوا﴾ ليزيلوا ويبطلوا بالقوة، من إدحاض القدم وهو إزلاقها وإزالتها عن موطئها. يا له من تعبير رباني جميل يعجز الكاتب المتمكن من الإتيان بمثله.

أيها الأحبة...

رجال الدعوة والإرشاد الذين يمشون في مناكب الأرض لنشر دعوة محمد ﷺ بالتي هي أحسن، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، هم أولى بأن نطلق عليهم مبشرين لا النصارى الذين يأتون إلى بلاد الإسلام ليخرجوا أهلها من النور إلى ظلمات الكفر والإلحاد مستغلين فقر المسلمين وجهلهم وقلة حيلتهم!



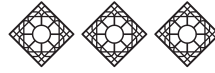
فوجب التنبيه في هذا المقام لأننا نسمع ونقرأ من بعضهم إطلاق لفظ مبشرين
على النصارى الذين ينشرون طقوسهم وفساد عقيدتهم بين المجتمعات
المسلمة الفقيرة، أو الشعوب التي تعاني ويلات الحروب.





الخاطرة العشرون: أشد الناس ظلماً

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ۖ﴾ ﴿٥٧﴾



يقول جل في علاه: لا أحد أظلم ممن وُعد بآيات الله البينات، وحججه الساطعة، فتعامى، متعمداً عنها، وأعرض ونسي ما قدمت يده من ظلم وآثام، وتناساها ولم يُلْقِ لها بالاً فاستحق غضب الله بأن جعل على قلبه أكنة أن يفقه، وفي أذنيه وقرا من أن يسمع الرشد والصلاح، لذا إن اجتهدت في دعوتهم إلى الهدى فلن يهتدوا أبداً. نعوذ بالله من الخذلان بعد الإيمان.

وإنني هنا لأعجب كل العجب من غير المسلمين الذين يعيشون بيننا في دولة الإمارات منذ عشرات السنين ولكنهم ومع احتكاكهم بنا وسماعهم لآيات الله تتلى عليهم إلا أن الغالبية العظمى منهم تصر على كفرها ﴿وَيَلِّكُلُ أَفَّاكُ أَثِيمٌ﴾ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتَ اللَّهِ تُلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ بَصُرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآيِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ [الجاثية: 10-7].

فسبحان من جعل الهداية بيده ووفق إليها كل من حرص على معرفة الحق والبحث عن طريق الخير.





الخاطرة الحادية والعشرون: رحمة الله



﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾ ﴿٥٨﴾



أي: وربك يا محمد واسع المغفرة عظيم الرحمة بالعباد مع تقصيرهم وعصيانهم. ولو يعاقبهم بما اقترفوا من المعاصي والإجرام لعجل لهم عذاب الدنيا، ولكنه تعالى يمهلهم ويؤخر عنهم العذاب الذي يستعجلونه به رحمةً بهم لعلهم يرجعون ويتوبون، وقد جرت سنته بأن يمهل الظالم ولكن لا يمهله، كما أخبر سبحانه ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفِئْتُهُمْ هَوَاءً ﴿٤٣﴾

[إبراهيم: 42-43].

أيها الناس...

تفكروا في رحمة الله وسعة مغفرته. لا تقنطوا.. لا تيأسوا.. أنتم في شهر الصوم والغفران.. إن الله يغفر الذنوب جميعا.. إنه هو الغفور الرحيم. ﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿[الزمر: 53]. وقال رسول الله ﷺ: " قال الله تعالى:



يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرْتُ لك على ما كان منك ولا أبالي؛
يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً
لأتيتُك بقرابها مغفرة " [رواه الترمذي].

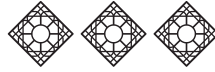




الخاطرة الثانية والعشرون: ذكرى



﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٩٨﴾



أي تلك هي أخبار الأمم السالفة والقرون الخالية، أهلكتناهم حين ظلموا، وطغوا في البلاد التي حكموها، وأكثروا فيها الفساد بكل أنواعه. فما كان الله ليظلمهم، ولكنهم كانوا بآيات الله يجحدون. وجعلنا لهلاكهم وقتاً محدداً معلوماً.. ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۝٩٨﴾ [مريم: 98].

فيا أخي المسلم...

لكل أجل كتاب، ولكل أمة أجل، فلا تغتر بالقوى العظمى وما تقوم به من ظلم وتجاوز للحق. وهي تلتهم دولة تلوا الأخرى، وتدمر اقتصاداً وبنى تحتية، وتنشر الرذيلة، وأفكاراً منحطة بين المسلمين. والله تعالى يقول: ﴿لَا يَغْرَنَّاكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۝١٩٦ مَتَّعُ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝١٩٧﴾ [آل عمران: 196-197]. وتذكر ما قيل لحبيبك محمد ﷺ من قبل ﴿وَكَأَيِّنْ مِّن قَرَبَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْنِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۝١٣﴾ [محمد: 13].

والمطلوب منا ونحن نرى ما يجري حولنا من ظلم وسفك لدماء الأبرياء أن نتقي الله، ونجدد العهد، ونوفي بالوعد، ونذكر بعضنا بعضاً ما جاء في



آخر سورة آل عمران: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢٠٠﴾ ولنكتب على أبواب منازلنا: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ
مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ
عَاذِينَ ﴿١٠٦﴾ [الأنبياء: 106-105].





الخاطرة الثالثة والعشرون: قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح



﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۖ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۖ ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا نَادَءْنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ۖ ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۖ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۖ ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۖ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ۖ ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۖ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَ مِنْ مِمَّا عَلَّمْتُ رُشْدًا ۖ ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ۖ خُبْرًا ۖ ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۖ ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۖ ﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۖ ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۖ ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ۖ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۖ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَٰذَا فَلَا تُصَحِّبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ۖ ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ سَابِقَتُكَ بِنَاوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۖ ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۖ ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا



أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾



وبعد القصتين السابقتين في سورة الكهف تجيء قصة الثالثة: قصة موسى نبي بني إسرائيل مع العبد الصالح. وتعتبر هذه القصة واحدة من أروع قصص القرآن الكريم في طلب العلم، والصبر عليه، وعدم اكتفاء الإنسان بالعلوم التي يجمعها، وإن كان له سهم في كل علم، فإن العلوم متعاونة، وبعضها مرتبط ببعض، فلا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته، وأن يتواضع لمن هو أعلم منه.

وسبب هذه القصة ما يرويه الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس عن أبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك".

فشاء الله أن يؤدبه بهذه القصة الغريبة ليعلم أن فوق كل ذي علم عليم.

الإصرار على بلوغ الهدف...

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾^(٦٠) يخبر الله تعالى عن نبيه وكليمه موسى عليه السلام، وشدة رغبته في الخير وطلب العلم، أنه خرج في رحلة شاقة طويلة مع فتاه يوشع بن نون الذي يلازمه في حضره وسفره، سمي فتاه، لأنه كان يلازمه، ويأخذ عنه العلم، ويخدمه.

هنا لا بد لنا أن نتأدب بأدب الله عندما نتكلم عمن يخدمنا ونناديه بما أمر به معلم البشرية محمد ﷺ كما جاء في الحديث: " ليقبل أحدكم فتاي وفتاتي، ولا يقل: عبدي وأمتي " [متفق عليه].

﴿لَا أَبْرَحُ﴾

لا أزال. ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾ [طه: 91]. ومنه قول الشاعر:

وَأَبْرَحَ مَا أَدَامَ اللَّهُ قَوْمِي

بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْطَقاً مَجِيداً

وليس المراد به: لا أزل، لأنه إذا لم يزل لم يقطع أرضاً. والمقصود لا أزال مسافراً وإن طالت عليّ الشقة، ولحققتني المشقة، حتى أصل إلى مجمع البحرين، وهو المكان الذي أوحى إليه أنك ستجد فيه عبداً من عباد الله العالمين، عنده من العلم ما ليس عندك.

﴿أَوْ أَمْضَى حُقُباً﴾

أي: أسير زماناً طويلاً، وللمفسرين في المراد بالحقب ها هنا سبعة أقوال: أحدها: أنه الدهر، قاله ابنُ عباس. والثاني: ثمانون سنة، قاله عبدالله بن عمرو وأبو هريرة. والثالث: سبعون ألف سنة، قاله الحسن. والرابع: سبعون سنة، قاله مجاهد. والخامس: سبعة عشر ألف سنة، قاله مقاتل بن حيان. والسادس: أنه ثمانون سنة، ذكرهما الفراء. والسابع: الحقب عند العرب وقت غير محدود، قاله أبو عبيدة.

أرأيت يا من يطلب العلم النافع.. بدأت القصة مشيدة بخلقين عظيمين يحتاج

إليهما طالب العلم، هما: العزم والواقف، والاحتمال الطويل. كلهم الله يقول إنه على استعداد لأن يسافر، كما في أحد الأقوال، في طلب العلم الدهر كله، حتى يلتقي بمعلمه! إن الشوق والرغبة، حملاً موسى أن يقول لفتاه هذه المقولة، وهذا عزم منه جازم، فلذلك أمضاه.

يا أله كم أتمنى من طلاب كلية الإدارة وهم يدرسون مادة تحديد الهدف وكيفية الوصول إليه الوقوف والتأمل في قول موسى عليه السلام واستخلاص عزمه الصادق واستعداده الأكيد لبلوغ الهدف ﴿أَبْلُغْ﴾ الذي حدده وإن طالت المدة ﴿وَأَمْضِ حُقُبًا﴾!

يا من يصرف آلاف الدراهم على شراء الكتب وحضور الدورات التدريبية الأجنبية ليتعلم كيف يرسم هدفه وكيف يحققه. هلا وقفت عند مقولة موسى عليه السلام هنا. لتراجع نفسك وتقوي عزيمتك؟ وصدق الله حيث يقول: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الإنعام: 38].

عدة السفر...

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ (٦١)

قال المفسرون: إن ذلك الحوت الذي كانا يتزودان منه، لما وصلا إلى ذلك المكان، أصابه بلل البحر، فانسرب بإذن الله في البحر، وصار مع حيواناته حياً.

وهذه المرحلة هي قرب نهاية الرحلة وقرب الالتقاء بالعبد الصالح وبدء رحلة العجائب.

فائدة: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نسب النسيان إليهما تغليباً، الفتى نسي أن يخبر

موسى بقصة الحوت، ونسي موسى أن يستخبره عن شأن الحوت بعد أن استيقظ لأنه حينئذٍ لم يكن معه وكان بصدد أن يسأله أين هو فنسي ذلك، فلذلك أضيف النسيانُ إليهما. هذا والله أعلم.

الصبر على طلب العلم...

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ (٦٣) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ (٦٤) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٥﴾

قال موسى لفتاه: لقد تعبنا من هذا السفر اطلب لنا الغذاء، وهذا من الآيات والعلامات الدالة لموسى على وجود مطلبه. فرد عليه فتاه قائلاً: ألم تعلم حين آوانا الليل إلى تلك الصخرة. فإني نسيت الحوت، وقد شغلني الشيطان بوساوسه، وشغل قلبي فذهبت بفكري كل مذهب حتى اعتراني النسيان. فلما قال له الفتى هذا القول، وكان عند موسى وعد من الله أنه إذا فقد الحوت، وجد الخضر، فقال موسى:

﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾

فرجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، إلى المكان الذي نسيا فيه الحوت.

فائدة: ﴿إِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ وهذا يدل على إباحة إظهار مثل هذا القول عندما يلحق الإنسان من الأذى والتعب، ولا يكون ذلك شكوى. فلا حرج من اظهار مثل هذا الأذى والتذمر لا سيما عند السفر والتنقل.

فخرجوا من الشباب عندما يذهبون في رحلات جماعية أو علمية أو سياحية ألا يتضايقوا من بعضهم البعض إذا حدث مثل هذا.

ولنا وقفة...

ووقفنا مهمة هنا لتدبر موقف موسى الإنسانى مع غلامه فهو لم يعنفه عندما نسي الغداء بل قبل عذره وهى رسالة مهمة إلى كل من يستأجر خادماً للقيام بعمل ما.

لنستمع إلى أنس بن مالك رضي الله عنه وهوىقول محدثاً عن خدمته لأعظم قائد عرفه التاريخ: خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط، وما قال لي شيء صنعته، لم صنعته؟ ولا شيء تركته، لم تركته؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقاً ولا مسست خزاً قط، ولا حريراً قط، ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شمتت مسكاً قط، ولا عطراً كان أطيب من عرق النبي صلى الله عليه وسلم.

والحديث عن عالم الخدم يطول فقد كثرت في الآونة الأخيرة قضايا ظلم أرباب العمل وهضمهم لحقوق العمال لديهم. وكأنهم لم يسمعوا لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم وهوىقول: " أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه ".

وإليكم هذه القصة التي ذكرتها جريدة الخليج الصادرة من الشارقة:

تتلخص الواقعة في ورود بلاغ من قبل الشرطي المناوب بمستشفى الذيد يفيد بوجود شخص من الجنسية الآسيوية يبلغ من العمر 21 عاماً وهوبحالة حرجة نتيجة محاولته الانتحار من خلال تناول مبيد حشري يستخدم في علاج أمراض الجمال! وعلى الفور تم انتقال عناصر من الشرطة للوقوف على الحالة، حيث تبين من خلال إفادة الطبيب المعالج. إقدام المتهم على الشروع في الانتحار عبر استخدام مبيد حشري فسفوري عضوي، فيما قام الطاقم المسعف عند وصول المريض إلى المستشفى بعمل غسيل لمعدته. وإعطائه

العلاج المناسب. وعند سؤال الشاب عن سبب محاولته الانتحار رد قائلاً:
إن ضعف راتبه بالإضافة إلى عدم تسلمه لراتبه الشهري منذ فترة كبيرة دفعاه
إلى فعل ذلك!

ونحن لا نقر هذا الفعل من العامل ولكنها قصة من مئات القصص كثرت في
الآونة الأخيرة ما جعل بعض منظمات حقوق العمال والإنسان تتدخل في
شؤوننا وتتسلط على لوائحنا بما كسبت أيدينا وهو أمر محزن جداً لأي مسلم.

وإليكم يا أرباب العمل...

قال رسول الله ﷺ: " قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل
أعطي بي (أي عهداً) ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً،
فاستوفى منه ولم يعطه أجره " [رواه البخاري].

وليس هناك أبغ من حديث الرسول ﷺ ليكون رسالة ردع إلى كل من يظلم
فقيراً أو ضعيفاً ولا يعطيه أجر ما عمل.

العبد الصالح...

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ ﴿٦٥﴾

من هو العبد الصالح؟

لم يذكر القرآن الكريم اسم العبد الصالح مباشرة ولكن ما يثبتته العلماء
وجمهور المفسرين أنه هو الخضر واستدلوا على ذلك بحديث الرسول ﷺ
الذي ذكرنا جزءاً منه في بداية القصة. قيل: سمى الخضر لأنه كان إذا صلى

اخضرّ ما حوله. وكان قد أعطي من العلم ما لم يعط موسى، أعطي من رحمة الله، ومن علم الغيب الذي استأثر به، وفي قوله ﴿مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾

من لدنا تفخيم لشأن ذلك العلم، وتعظيم له. وإن كان موسى عليه السلام أعلم منه بأكثر الأشياء، وخصوصاً في العلوم الإيمانية والأصولية، لأنه من أولي العزم من المرسلين، الذين فضلهم الله على سائر الخلق، بالعلم والعمل، وغير ذلك.

اللقاء...

فلما وصلا إليه، وجده مسجّى بثوب فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال له في تواضع جمّ: نعم، أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً. فقال الخضر: يا موسى إني على علم من علم الله علّمنيّه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه.

تأمل حفظك الله كيف هيا الخضر موسى عليه السلام ووصف علمه وعلم موسى بما قل ودل من قبل أن يشرعا في الرحلة العلمية الأدبية!

أدب الاستئذان...

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِن مَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾

فرح موسى بلقاء الخضر بعد أن قطع المسافات للقاء. ويعلم الله كم استغرقت رحلة موسى لملاقاة الخضر فهي من الحقائق التي حجبها القرآن الكريم. فلما اجتمع به موسى قال له على وجه الأدب والمشاورة، هل اتبعك على أن تعلمني مما علمك الله، ما به أسترشد وأهتدى، وأعرف به الحق؟

وهذه نصيحة لكل طالب علم أن يتأدب بين يدي عالمه. يقول عمر رضي الله عنه:
تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم، وتواضعوا لمن تتعلمون
منه، وليتواضع لكم من يتعلم منكم، ولا تكونوا من جبابرة العلماء، فلا يقوم
علمكم بجهلكم.

ولم أجد في هذا المقام أفضل مما قاله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:
" إن من حق العالم عليك أن تسلم على القوم عامة، وتخصه بالتحية، وأن
تجلس أمامه، ولا تشير عنده بيدك، ولا تغمزن بعينك، ولا تكثر عليه بالسؤال،
ولا تعينه في الجواب، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تراجع إذا امتنع، ولا تأخذ
بشوبه إذا نهض، ولا تفشي له سرّاً، ولا تغتابن عنده أحداً، ولا تطلبن عشرته، وإن
زل قبلت معذرتة، ولا تقولن له: سمعت فلاناً يقول خلافك. ولا تصفن عنده
عالمًا، ولا تعرض من طول صحبته، ولا ترفع نفسك عن خدمته، وإذا عرضت
له حاجة سبقت القوم إليها، فإنما هو بمنزلة النخلة تنتظر متى يسقط عليك
منها شيء ".

طريق العلم...

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ٦٧

فقال الخضر لموسى: لا أمتنع من ذلك، ولكنك لا تقدر على اتباعي وملازمتي،
لأنك ترى ما لا تقدر على الصبر عليه من الأمور التي ظاهرها المنكر، وباطنها
الرحمة. وفي هذا الصبر وجهان: أحدهما: عن الإنكار. والثاني: عن السؤال.
وهما من أشد أنواع الصبر على طالب العلم الشرعي.

والسبب...

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، خُبْرًا ۖ﴾ (٦٨)

وهنا يخفف الخضر على موسى ويبين له لماذا الصبر سيكون صعباً. كيف تصبر على أمر، ما أحطت بباطنه وظاهره، وعلمت المقصود منه ومآله؟ وهذا أسلوب استفهامي جميل يستخدم لتحدي إجابة المسؤول.

قبول الشرط...

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۖ﴾ (٦٩)

وقال موسى ستجدني إن شاء الله صابراً وغير عاص. تعهد بالصبر والانقياد، وهذا عزم منه عليه السلام، قبل أن يوجد الشيء الممتحن به، والعزم شيء، ووجود الصبر شيء آخر، فلذلك ما صبر موسى عليه السلام حين وقع الأمر، وسنرى معاً ذلك عما قريب.

خاطرة: وأنا أتأمل قول موسى عليه السلام ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ وبداية السورة الكريمة التي أدب الله بها رسولنا محمد ﷺ وقال له ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۚ﴾ (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَذَكَرَ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا ۚ﴾ (٢٤).

فجال بخاطري شيء ما فقلت لنفسي سبحان الله العظيم موسى عليه السلام قال إن شاء الله ومضى في الرحلة المباركة. وحبينا وشفيعنا ومعلمنا لم يقل إن شاء الله حين سئل فانقطع عنه الوحي لمدة خمس عشرة ليلة. ابتسمت قليلاً وقلت لقلمي: هل تأملت معي؟ هنا تبرز لنا أهمية قول إن شاء الله

عند قضاء الحوائج. لذا قررت أنا وقلمي أن نكتب بعض الخواطر حول هذه الخاطرة. نأمل منها أن نوصل الفكرة.

روى أبوهريرة عن رسول الله ﷺ قال: " إن يأجوج ومأجوج يحرفون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غداً، فيعودون إليه، فيرونه كأشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله عز وجل أن يبعثهم على الناس، حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غداً إن شاء الله، ويستثنى، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس ". سبحان الله تأمل، سيفتح سد يأجوج ومأجوج بقول كلمة إن شاء الله!

كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: " قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة. وفي رواية قال له الملك: قل إن شاء الله، فلم يقل، فطاف بهن فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان، فقال رسول الله ﷺ. والذي نفسي بيده، لو قال إن شاء الله لم يحنث، وكان دركاً لحاجته " وفي رواية " ولقاتلوا في سبيل الله فرساناً أجمعون ".

وأنقلك إلى موضع آخر ومهم في القرآن الكريم وركز المولى عز وجل على قول إن شاء الله. تأمل حفظك الله قوله تعالى في سورة الفتح:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۗ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [٢٧] [الفتح: 27]. وكان الفتح العظيم لمكة المكرمة بمشيئة الله عز وجل وسقوط دولة قريش العظمى ودانت العرب للمسلمين.

بل إن ما عجل في الحصول على مواصفات البقرة المطلوبة لكشف ملابسات الجريمة اليهودية التي ذكرت في سورة البقرة بعد جدل طويل مع موسى عليه السلام قولهم إن شاء الله. قال تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [البقرة: 70-71].

تأمل حفظك الله قول بني إسرائيل إن شاء الله والتي دلت على مكان البقرة وكانت مفتاحاً لمعرفة القاتل.

وهنا تبرز لنا خاطرة مهمة جداً وهي أن رسولنا محمداً ﷺ رد العلم إلى الله ولم يقل إن شاء الله فعاتبه الله تعالى بأن تأخر عنه الوحي خمس عشرة ليلة. وكليم الله موسى عليه السلام لم يرد العلم إلى الله فعاتبه الله تعالى، ومشى حقبا من الزمن. فسبحان الله العظيم.

الشرط الشديد...

﴿قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾

شرط عليه السكوت والتسليم فقال: لا تبدئني بسؤال منك وإنكار، حتى أكون أنا الذي أخبرك بحاله، في الوقت الذي ينبغي إخبارك به. وهذا من آداب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع. هو شرط وحيد ولكنه شديد! ولنستفد نحن طلبة العلم من هذه النصائح الثمينة. ولا نجعلها تمر علينا مر السحاب.. ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: 24].



الرحلة الأولى: حادثة السفينة والملك الظالم



﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا
إِمْرًا﴾ (٧١)

وافق موسى عليه السلام على شرط الخضر الوحيد الشديد. وانطلقا معاً في أول رحلة يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهم، فحملوهم، فلما ركبا في السفينة جاء عصفور فوق على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر لموسى: ما ينقص علمي وعلمك من علم الله إلا مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر. وما إن تحركت حتى أخذ الخضر الفأس واقتلع منها لوحاً مما يلي الماء ليعيبها ولا يتسارع الغرق إلى أهلها، وكان له مقصود في ذلك سييئه فيما بعد، فلم يصبر موسى عليه السلام، لأن ظاهره أنه منكر، لأنه عيب للسفينة، وسبب لغرق أهلها. لهذا قال للخضر ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي: عظيماً شنيعاً، وهذا من عدم صبره عليه السلام.

لطيفة: تأمل أخي قول موسى عليه السلام للخضر حين خرق السفينة: ﴿أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾، ولم يقل لتغرقنا، فنسي نفسه واشتغل بغيره، في الحالة التي كل واحد فيها يقول نفسي نفسي، لا يلوي على مال ولا ولد، وتلك حالة الغرق، فسبحان من جبل أنبياءه وأصفياه على نصح الخلق والشفقة عليهم والرفقة بهم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. فالأنبياء والصالحون من الناس دائماً يهتمهم أمر أمتهم فهو على سلم أولوياتهم.

وهذا حبيبنا محمد ﷺ يوم القيامة الكل يصيح نفسي نفسي ومحمد ﷺ يستغيث بربه قائلاً " أمتي .. أمتي ". صلى الله عليك وسلم يا رسول الله. يا حبيب الله. يا من امتدحه الله قائلاً: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) [التوبة: 128].

تذكير بالشرط...

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٧٢)

مباشرة ذكر الخضر موسى عليه السلام بما قاله له في بداية الرحلة. فوقع كما أخبر، وكان هذا من موسى نسياناً.

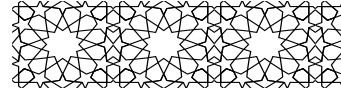
لذا ومن هذا الموقف يمكننا أن نستنتج الآتي: إذا اشترطت على أحد ما شرطاً وأخل في هذا الشرط فلا بد أن تذكره في الوقت نفسه ولا تترك في قلبك وتكظم عليه لا سيما فيما يتعلق بالعمل والعلاقة بين الموظف ومسؤوله فإن كظم الغيظ أو السكوت عن الخطأ يسبب تلك الأمراض العصرية مثل ارتفاع ضغط الدم والقرحة والقلولون. نسأل الله السلامة.

الاعتذار...

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ (٧٣)

قال موسى معتذراً: لا تعسر عليّ الأمر واسمح لي، فإن ذلك وقع على وجه النسيان، فلا تؤاخذني في أول مرة. فجمع بين الإقرار به والعذر منه، فصفح عنه الخضر. وانطلقا في رحلة ثانية.

الرحلة الثانية: حادثة الغلام



﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيََا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾﴾
 قبل الخضر نسيان موسى وعذره وانطلقا في رحلة ثانية، خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل، إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فما كان من الخضر إلا أن قام وقتل الغلام فاشتد بموسى الغضب، وأخذته الحمية الدينية، حين قتل غلاماً صغيراً لم يذنب، ولم يقتل أحداً حتى يكون قتله قصاصاً!

وكلمة نُكْرَا تعني عظيماً شنيعاً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨﴾﴾ [الطلاق: 8]. وجاءت كلمة نكرا في موقع آخر من السورة في قصة ذى القرنين، كما سنرى، قوله تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ [الكهف: 87].

وأنت يا أخي المسلم متى ستأخذك الحمية الدينية وتقول لقوى الظلم والطغيان: يا قوى الظلم إلى متى هذه العنصرية والشدة على المسلمين؟ لم تقتلون، بغير ذنب، الأطفال الرضع والغلمان والنساء والشيوخ الركع، من الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، صباح مساء، وتلقون عليهم القنابل العنقودية، والفسفورية الحارقة وعلى الملاء من الناس غير مباينين بصرخات الأطفال والشيوخ والنساء. وغير مباينين بجمعيات حقوق الإنسان واحتجاجاتها بما تستخدمونه من أسلحة فتاكة وقنابل محرمة؟

وأنتم يا شباب الشعبيات، يا من نعول عليهم الكثير من الآمال، هذا نبي الله موسى يغضب لقتل غلام واحد فقط، ويقول عن القتل إنه شيء عظيم، وفعل شنيع. فما بالكم وقد أصبح القتل لأتفه الأسباب ترفعون أيديكم وسيوفكم ويقتل بعضكم بعضاً لأتفه الأسباب. أليس منكم رجل رشيد؟ ألا تخافون الله؟ هل نسيتم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 93].. أم نسيتم قول رسول الله ﷺ عن القتل: " لو أن أهل السماوات والأرض اجتمعوا على قتل مسلم لكبهم الله جميعاً على وجوههم في النار " [رواه الطبراني]؟

التأكيد على الشرط...

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٧٥)

فقال له الخضر معاتباً ومذكراً له بما قاله له من قبل وكانت الأولى من موسى نسياناً، وهذه غير نسيان، ولكن عدم صبر وتسرع.

فائدة: فإن قلت: ما معنى زيادة ﴿لَكَ﴾ في الآية السابقة ولم يذكرها في المرة الأولى؟ الجواب والله أعلم: زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية، والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية.

القبول...

﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْهُ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ (٧٦)

هنا الفرصة الأخيرة لموسى عليه السلام ليثبت قدرته على الصبر في طلب العلم. فقبل الخضر طلب موسى للفرصة الأخيرة. فقال له موسى: بعد هذه

الكرة أوالمسألة فأنت معذور بذلك، وبترك صحبتي، وأكمل الرحلة العجيبة.
وهنا قمة التواضع من طالب العلم إلى عالمه فهو يعترف بأنه أخل بالشرط
لعدم صبره وأنه ملتزم بوعده الأول أن يتوقف عن صحبة عالمه إذا تكرر منه
الخطأ.

الرحلة الثالثة والأخيرة: بناء الجدار

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنَّىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ﴿٧٧﴾

بعد أن انتهت قصة قتل الغلام على يد الخضر، وثارة ثائرة موسى حتى كادت تنهي الرحلة لولا قبول الخضر بتعهد موسى.. انطلقا معاً فإذا بهما عند قرية وقد أصابهما الجوع فطلبوا الأكل من أهلها فأبوا عليهما ذلك فلم يضيفوهما ربما لبخلهم. وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه. ووجدا جداراً يريد أن يسقط فما كان من الخضر إلا أن قام. وأعادته جديداً وموسى يحبس نفسه عن السؤال وينظر بعجب لعمل الخضر مع أهل المدينة.

فلما أقام الجدار على أكمل وجه. لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن قال متعجباً للخضر: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ﴿٧٨﴾ وكأن لسان حاله يقول: أهل هذه القرية، لم يضيفونا مع وجوب ذلك عليهم، وأنت تبنيه من دون أجر! أيعقل هذا؟ فحينئذ لم يف موسى عليه السلام بما قال، واستعذر الخضر منه.

لطيفة: إن قيل: كيف نسبت الإرادة إلى ما لا يعقل في قوله تعالى: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ﴾؟ الجواب: أن هذا على وجه المجاز تشبيهاً بمن يعقل، وقد أضافت العرب الأفعال إلى ما لا يعقل تجوُّزاً وبلاغة، قال الشاعر:

ضحكوا والدَّهْرُ عنهم ساكتٌ

ثم أبكاهم دماً لَمَّا نطق

وفي موضع آخر في القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ [الأعراف: 154]. والغضب لا يسكت، وإنما يسكت صاحبه.

فائدة: قال ابن عباس: كان قول موسى في السفينة والغلام، لربه، وكان قوله في الجدار، لنفسه لطلب شيء من الدنيا.

فكانت الحادثة الأولى نسياناً، والوسطى شرطاً، والثالثة عمداً.

الفراق...

﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾

وهنا تنتهي الرحلة المباركة. فقال الخضر لموسى عليه السلام: فإنك شرطت ذلك على نفسك، فلم يبق الآن عذر، ولا موضع للصحبة.

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: "رحم الله أخي موسى استحيا فقال ذلك" وقال: "رحمة الله علينا وعلى أخي موسى، لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب" [أخرجه أبوداود].

التبيان...

﴿سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أَوْيَلَ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾

وكان الخضر وقف مخاطباً موسى: يا موسى إنه الفراق والوداع ولكن لا بد

للبيان حتى لا يبقى في نفسك شيء. سأخبرك بما أنكرت عليّ، وأنبئك بما لي في تلك المآرب، وما يؤول إليه الأمر. وأعلم ما يدور في نفسك من ألم وحزن على الفراق. ولكنك أنت اشتطت على نفسك. فيجب أن تتحمل النتيجة.

أما السفينة...

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (٧٩)

فالسفينة التي خرقها كانت لمساكين يقتضي ذلك الرقة عليهم، والرفقة بهم، كان مرورهم على ذلك الملك الظالم، فكل سفينة صالحة تمر عليه ما فيها عيب غصبها وأخذها ظلماً، فأردت أن أخرقها ليكون فيها عيب، فتسلم من ذلك الظالم. وتبقى الأسرة الفقيرة الضعيفة تعيش في سلام وأمان.

أما الغلام...

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (٨٠)
﴿يُبَدِّلْهُمَا رَحْمَةً خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ (٨١)

أما الغلام الذي قتلته فقد قدر عليه أنه لو بلغ لأرهق أبويه طغياناً وكفراً ويلحق بهما شراً وبلاء، فقتلته لاطلاعي على ذلك، سلامة لدين أبويه المؤمنين، وأي فائدة أعظم من هذه الفائدة الجليلة. ولد صالح، زكي، واصل لرحمه. أكثر أهل التفسير يقول: الزكاة الدين، والرحم المودة.

لطيفة: وقد ذكرت كتب التفسير حقائق مشوقة عن الوالدين عندما صبرا على فقد الغلام فقد روي أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبي، فولدت نبياً هدى الله على يديه أمة من الأمم. وقيل ولدت سبعين نبياً. هذا والله تعالى أعلم.

في الحقيقة لا يعرف أحدنا أي الأقارب أقرب لنا نفعا. كما قال سبحانه في سورة النساء: ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء: 11]. وقد صور لنا القرآن الكريم صنفين من الشباب وعلاقتهم بوالديهم: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٥) ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّٰدِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (١٦) ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أَفِي لَكُمْ أَنْ تُعَدِّنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٧) ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَتِ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خٰسِرِينَ﴾ (١٨) [الأحقاف: 18-15]... فوجب التوقف والتدبر.

أما الجدار...

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾

أما الجدار الذي أقمته وكان سبباً في فراقنا لعدم صبرك وتسرعك فتحته كنز لغلّامين يتيمين يعيشان في المدينة وحالهما تقتضي الرأفة بهما ورحمتهما، لكونهما صغيرين فقدأ أباهما، وحفظهما الله أيضاً بصلاح والدهما فلهذا أقمت الجدار، للحفاظ على كنزهما حتى يكبرا ويستخرجا. خاصة وأن أهل

القرية أهل سوء وبخل لا يؤمن مكرهم وخيانتهم فهم امتنعوا عن أبسط حقوق الضيف المحتاج.

وهنا يجب ألا يدب اليأس فيمن يعمل في بيئة فاسدة تحيط به من كل جانب ويجب العمل والبذل والعطاء والصبر في سبيل الله.. والجزاء في الدنيا قبل الآخرة.

لطيفة: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ وعن جعفر بن محمد الصادق: كان بين الغلامين وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء. وقد قيل إنه كان الأب السابع وقيل العاشر.

وعن الحسين بن علي عليه السلام أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما: بم حفظ الله الغلامين؟ قيل: بصلاح أبيهما. قال: فأبى وجدّي خير منه.

وعلى كل تقدير فيه دلالة على أن الرجل الصالح يُحفظ في ذريته كما قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا فَوُؤْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: 9].

واختلف في الكنز، فقيل: مال مدفون من ذهب وفضة. وقيل: لوح من ذهب مكتوب فيه: "عجباً لمن أيقن بالنار كيف يضحك، عجباً لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، عجباً لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، عجباً لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب، عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل. عجباً لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها. أنا الله الذي لا إله إلا أنا، محمدٌ عبدي ورسولي، وفي الشق الآخر: أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه، والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه".

والله إنه لكنز عظيم لمن فقهه وتدبر كلماته.. إنه لكنز يستحق أن يكتب ويلصق على باب بيت كل منا.. إنه لكنز يستحق أن نقرأه قبل أن ننام.. إنه لكنز يستحق أن نرسله إلى أحبتنا عبر رسائل يوم الجمعة.. إنه لكنز يستحق أن نعلمه ونحفظه لأطفالنا.

لله الأمر من قبل ومن بعد...

﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٨٢)

هذا الذي فعلته رحمة من الله، وما فعلت ما رأيت عن اجتهادي ورأيي، ومجرد إرادتي، وإنما ذلك من رحمة الله وأمره. وهذا هو المختصر المفيد لرحلتنا المباركة وما حدث فيها من أحداث.

فائدة: استدل بعض أهل العلم من قول الخضر عليه السلام: ﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ﴾ دليل على أنه كان نبياً، وأنه ما فعل شيئاً من تلقاء نفسه بل بأمر ربه فهو نبي.

وقصة...

سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده ما إن وضعت قلمي عند نهاية قصة موسى والخضر عليهما السلام لأرتشف بعض الشاي، إلا وجالت بنفسي خاطرة مهمة جداً أحببت أن تشاركني فيها أيها القارئ الكريم، وأحب أن أستمع إلى رأيك فيها وهي أن المتتبع لقصة حياة موسى عليه السلام قبل أن يلتقي بالخضر يجد فيها بعض المواقف العجيبة تشبه إلى حد بعيد تلك التي مر بها مع الخضر بل ربما أعجب منها.

والعجيب أن الأحداث مع الخضر حصلت وذكرت في سورة واحدة هي سورة الكهف وأحداث موسى المشابهة وقعت في سورة واحدة هي سورة القصص. فإلى لروعة هذا الكتاب العظيم.. ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٢٩﴾ [ص: 29].





الخاطرة الرابعة والعشرون: قصة ذي القرنين



﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۚ إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَاءَيْنَنَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۚ﴾ (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۚ (٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْجُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۚ﴾ (٨٦) قَالَ أَمَأَمَن ظَلَمَ فُسُوفَ تُعَذِّبُهُ، ثُمَّ يَرُدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ، فَيُعَذِّبُهُ، عَذَابًا نَكِرًا ۚ﴾ (٨٧) وَأَمَأَمَن ءَأَمَن وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ، مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۚ﴾ (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۚ﴾ (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ۚ﴾ (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۚ﴾ (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۚ﴾ (٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۚ﴾ (٩٣) قَالُوا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۚ﴾ (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۚ﴾ (٩٥) ءَأَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا ۚ﴾ (٩٦) فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْطَعُوا لَهُ، نَقْبًا ۚ﴾ (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۚ﴾ (٩٨) ﴿



في رأيي الخاص أن قصة ذي القرنين تجسد واقعنا المؤلم الحالي بأطيافه المختلفة. ومن يتعمق في تدبر القصة والبحث في أمهات الكتب، والتفاسير سيجد الخير الكثير والحقائق الممتعة. سأترك المجال لك لاستنباط هذه الأطياف من خلال رحلتنا المباركة مع ذي القرنين وهو يطوف مشارق الأرض ومغاربها طلباً للخير، ومساعدة الناس، واعماراً للأرض. فمع القصة المباركة.



ما هي أسباب النزول؟

كان أهل الكتاب أو المشركون، قد سألوا رسول الله ﷺ عن قصة ذي القرنين، فأمره الله أن يقول: سأتلو عليكم من أحواله خبراً نافعاً كافياً، ما يتذكر فيه، ويكون عبرة، فقد ملكه الله تعالى، ومكنه من النفوذ في أقطار الأرض، وأثنى عليه بالعدل، وأعطاه الله من الأسباب الموصلة له ما به يستعين على قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران.

ما هذه الأسباب؟

هذه الأسباب التي أعطاه الله إياها، لم يخبرنا الله ولا رسوله بها، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد العلم، فلهذا لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها ففيها الكثير من الضلال.

من هو ذا القرنين؟

اختلفوا فيه هل كان نبياً، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه كان نبياً، قاله عبدالله بن عمر، والضحاك. والثاني: أنه كان عبداً صالحاً ملكه الله الأرض، سخر له السحاب، ومدّت له الأسباب، وأعطاه العلم والحكمة، وألبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة، فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه.

وقد ذكر بعض أهل العلم في تفاسيرهم أنه هو الإسكندر الذي ملك الدنيا. قيل: الأرض ملكها مؤمنان: ذا القرنين، وسليمان عليه السلام. وكافران: نمرود، وبختنصر.

وذكره هنا في ثلاث رحلات ارتحلها في الأرض بهدف الدعوة والإرشاد والإصلاح. وهي رحلات بمثابة محطات نمر عليها في حياتنا ونحن نمشي في مناكب الأرض.



الرحلة الأولى: رحلة المغرب

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ ٨٦ ﴿

أعطاه الله من القوة والأسباب القوية من علم أو قدرة أو آلة، ما بلغ به مغرب الشمس حيث لا يمكن لأحد أن يجاوزه، حتى رأى قرص الشمس في مرأى العين، كأنها تغرب في عين سوداء، وهذا تعبير عن قربهِ الشديد من الشمس ووصوله لأقصى بقعة في الأرض عندها وجد أمة من الأمم يقال إنهم كانوا أخلاطاً فيهم المحسن والمسيء فخيَّره الله بين أن يعذبهم بالقتل أو يدعوهم إلى الإسلام، ﴿ قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾. أي إما أن تعذبهم بقتل، أو ضرب، أو أسر ونحوه إن أبوا ما تدعوهم إليه، وإما أن تحسن عليهم، فتبصرهم الرشد، فخير بين الأمرين.

أساس الحساب...

﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ، ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴾ ٨٧ ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُسْرًا ﴾ ٨٨ ﴿ ﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ، ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴾

ولأنه إمام عادل حريص على نشر الخير اختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم إلى الإيمان فقال سأجعلهم قسمين من ظلم بالكفر ستحصل له العقوبتان، عقوبة الدنيا، وعقوبة الآخرة. ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ

أَمْرًا يُسْرًا ﴿١٠﴾ وأما من آمن بالله وعمل صالحاً فله الجنة والحالة الحسنة عند الله
جزاء يوم القيامة. وسنحسن عليه، ونلطف له بالقول، ونقول له قولاً جميلاً،
ونيسر له المعاملة. وهذه سياسة حسنة لحاكم عادل.

وقراره الحكيم هذا يدل على كونه من الملوك الصالحين العادلين العالمين،
حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد، بما يليق بحاله.



الرحلة الثانية: رحلة المشرق

﴿ثُمَّ أَنْبَغَ سَبَبًا ۝٨٩ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۝٩٠ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ ۞

﴿ثُمَّ أَنْبَغَ سَبَبًا﴾

أي: سلك طريقاً راجعاً من المغرب إلى المشرق فيقال إنه رجع في اثنتي عشرة سنة.

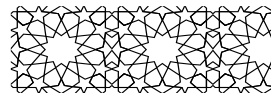
﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ ۞

حيث وجد قوماً متخلفين ليس لهم بيوت ولا أكنان يستترون بها من حر الشمس. ربما لشدة فقرهم وعدم قدرتهم على بناء ما يستترهم. يسكت القرآن الكريم عما حدث مع هؤلاء القوم ولم يفصل عن وضعهم الاجتماعي أو السياسي. ولم تذكر لنا السنة النبوية المطهرة ما يهمننا هنا فوجب أن نختصر ونذكر ما ذكره علماء التفسير أثابهم الله تعالى. وهذا من الإعجاز لترك العقل للتدبر ويستريح قبل أن يأخذه إلى الرحلة المهمة والأخيرة مع ذي القرنين.

﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ ۞

ونحن نعلم ما هو عليه أحطنا بما عنده من الخير والأسباب العظيمة وعلمنا معه، ونكلؤه بحراستنا في مسيره ذلك حيثما توجه وسار.

الرحلة الثالثة: رحلة يأجوج مأجوج



﴿ثُمَّ أُنْبِئَ سَبِيًّا ﴿٩٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾

﴿ثُمَّ أُنْبِئَ سَبِيًّا ﴿٩٣﴾﴾

أي: سلك طريقاً ثالثاً بين المشرق والمغرب.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ﴿٩٣﴾﴾

وصل إلى ما بين السدين.

﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾

في سلاسل الجبال تلك وجد من دون السدين قوماً غشماً لا يكادون يفقهون قولاً، إلاً بجهد ومشقة من إشارة ونحوها كما يفهم البكم، وذلك لعجمة ألسنتهم. قال المفسرون: وإن كانوا كذلك لأنهم لا يعرفون غير لغتهم.

وقد أعطى الله ذا القرنين من الأسباب ما فقه به ألسنة أولئك القوم، فاشتكا إليه ضرر قوم يأجوج ومأجوج لعلمهم المسبق بسعة علمه وقوته وعدله. وقيل: كلم ذا القرنين عنهم مترجمين ترجموا. وهنا تبرز لنا أهمية تعلم اللغات والتعرف على الثقافات الأخرى ودعم دور العلم.

﴿قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴿٩٣﴾﴾

وقالوا له إن يأجوج ومأجوج مفسدون بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك. وقيل: كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئاً أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه، وكانوا يلقون منهم قتلاً وأذى شديداً.

﴿فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا *﴾

وبذلوا له حملاً، وهو الخراج، على أن يقيم بينهم حاجزاً يمنعهم من الوصول إليهم. وطلبوا منه أن يبني لهم سداً لعدم اقتدارهم بأنفسهم على بنیان السد ربما لجهلهم ولقلة علمهم رغم علمهم أن بناء السد هو الحل الأنجح لمشكلتهم مع يأجوج ومأجوج رغم توفر المال الكثير في أيديهم.

فيا أحبتي هل تأملت الآية. القوم لديهم العدد الكافي من الرجال، ولديهم الأموال الكثيرة، ولديهم الحل لمشكلتهم مع جارتهم الشرسة دولة يأجوج ومأجوج، ولكنهم لعدم صرف مواردهم المالية والبشرية في التعليم الديني الذي يضمن التنمية المستدامة، واستمرارية عمارة الأرض ولعدم إعداد أنفسهم الإعداد الصحيح على تجهيز الشباب للدفاع والقتال وقفوا عاجزين محتارين، يخسرون الجولة تلوا الأخرى مع عدوهم اللدود، وطلبوا من الغريب صاحب العلم والقوة مساعدتهم على أن يبذلوا له الغالي والنفيس مما يملكون ومما تخرج الأرض من بطنها!

فهل استوعبنا الدرس؟.. ليت شعري.. يا ليت قومي يعلمون!

حسرة وألم...

وهنا كم ينفطر قلبي وأنا أذكر تقرير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والذي صدر مؤخراً في هذا الشهر الفضيل والذي ذكرت فيه أن عدد الأميين

في الوطن العربي في تزايد مستمر ووصل قرابة 100 مليون نسمة!

التوكل على الله...

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۚ﴾

وبدأ التخطيط الاستراتيجي الصحيح لنشر دعوته فلم يستعجل على دعوتهم للإسلام واستماله قلوبهم لدعوة الحق. بل استغل حاجة القوم، واستغل قدرته على البذل والعطاء والعمل الجاد، وسخر علمه لدعوته. فبعد أن فرغ من البناء جاء بدعوته وقلوب الناس مهياً خير تأهيل لتلقي الخير واتباع الصراط المستقيم.

ولأنه ملك صالح وقائد ناجح عندما عرضوا عليه المال والهدايا في مقابل تخليصهم من شر يأجوج ومأجوج قال لهم ما تبدلون لي وتعطونني إياه ما مكني فيه ربي خير وأبقى ورد هديتهم عليهم، وظهرت عبقرية ذي القرنين الهندسية فقد بني خطا من الاستحكامات العسكرية ذوّب فيه الحديد والنحاس والصخور، أعلى بناءه، وقوى أسفله، وساوى بين حافتي الجبلين.

فالأنبياء ومن سار على هداهم لا ينظرون إلى زينة الحياة الدنيا من الهدايا القيمة والأموال وإنما كيف ينشرون الخير والعدل والسلام بين الشعوب والأمم ولن يتحقق ذلك إلا بالإسلام والاستسلام لدين الله وهذا نبينا محمد ﷺ تعرض عليه قريش ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 90].

وهذا هوديدن الأنبياء والرسل والصالحين فالمال لا يساوي شيئاً إذا ما قورن بما عند الله. وهذا هونبي الله سليمان عليه السلام يرفض هدية بلقيس الثمينة والقرآن الكريم يصور الموقف في سورة النمل بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ

أَتَمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَاءَ تَمِّنٍ ۚ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَكُم بَلْ أَنتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ [النمل: 36].

وهذا نوح عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَيَقُولُوا لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَإِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود: 29].

﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾

وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم أنتم، صناع يحسنون البناء والعمل سآدرهم وأعلمهم، لأجعل مانعاً حصيناً موثقاً من عبورهم عليكم. ثم بدأ معهم في بناء الردم. والردم أكبر من السد.

إدارة المشروع...

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ (٩٦) ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (٩٨)

أتوني قطع الحديد. فأعطوه ذلك، حتى إذا ساوى بين الصدفين. الصدفان: جنبا الجبل. يقال صدفان، إذا تحاذيا، لتصادفهما، أي: لتلاقيهما. أوقدوها إيقاداً عظيماً، واستعملوا لها المنافيخ لتشتد، فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس، الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد، ﴿قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾. أي: نحاساً مذاباً، فأفرغ عليه القطر، فاستحكم السد استحكاماً هائلاً، وامتنع به من وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج فلا يعرف على وجه الأرض بناء أجل منه ولا أنفع للخلق منه في أمر دنياهم.

هكذا هي الحياة جد وعمل دؤوب ليلاً ونهاراً فالله تعالى يقول: ﴿هُوَ أَشَقُّكُمْ
مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَغْمِرُكُمْ فِيهَا﴾ [هود: 61]. ونحن خلفاء الله في الأرض أمة عمل. وصدق
من قال:

ليس الحياة بأنفاسٍ تُرددها

إن الحياة حياة الفكر والعمل

سبحان الله. أي علم هذا، وأي هندسة مدنية ومعمارية، وأي استحكام،
وأي إتقان وجودة لهذا البناء الرائع الذي خدم البشرية جمعاء من شر يأجوج
ومأجوج لآلاف السنين. وما زال!

وأنا أسأل هنا: أين كليات العلوم والهندسة من تدريس مشروع بناء السد كمادة
أساسية، وتدريس المواد التي استخدمت في البناء.. وتخصيص ميزانيات
علمية للبحث والتطوير والنظر في أصل المعادن التي استخدمت كمواد أولية
لهذا البناء الشامخ؟ وأين علماء الآثار للبحث عن موقع هذا السد؟ وعن رسول
الله ﷺ: أن رجلاً أخبره به فقال: " كيف رأيته؟ " قال كالبرد المحبر طريقة
سوداء وطريقة حمراء. قال: " قد رأيته ".

أم أنهم ينتظرون علماء الغرب للعثور عليه حتى يقولوا لهم إن القرآن الكريم
أخبرنا عن وجود هذا السد وعن مواصفاته وعن المواد التي استخدمت فيه منذ
أكثر من ألف وأربعمئة سنة، كما هو الحال في الاعجاز العلمي للقرآن الكريم
كما يسميه البعض منا فما أن يكتشف علماء الغرب أو الشرق إلا وتنادى
البعض بأن القرآن أو السنة المطهرة ذكرت ذلك قبل مئات السنين! فأين
الجديد في الأمر!؟.. فياليت شعري!

خاطرة...

يا شباب إنها دعوة مفتوحة للجد والعمل ولا تكونوا كخُشب مُسندة أي مقطوعة ممالة إلى الحائط لا تقوم بنفسها، ولا هي ثابتة، إنما تستند إلى من ينصرهم ويقوم على شؤونهم من الشرق أو الغرب لسوء اعتقادهم وكسلهم. هيا لنضع الكسل جانبا ونتحرك معاً.

والتاريخ الحديث يذكرنا بأمة اليابان وكيف استطاعت النهوض بعد ما ألم بها من تخريب ودمار على يد القوات الأمريكية التي تفننت في استخدام الأسلحة النووية المدمرة لإرغام اليابان على الاستسلام والخضوع. ولنعش لبعض الوقت مع الأسطر التالية عن اليابان. وهذا ما قاله آرثر بالنص الحرفي عندما دُعي للحديث عن اليابانيين أمام مجلس الشيوخ الأمريكي الذي كان بصدد مناقشة معاهدة الأمن التي ستربط اليابان بأمريكا إذ قال: "قياساً بمعايير المدنية الحديثة فإن اليابانيين أشبه بصبي في الثانية عشرة من عمره، مقارنة بتطورنا حيث نحن في الخامسة والأربعين". وها هو الرئيس الروسي خروتشوف يتحدث بسخرية عن اليابانيين أيضاً في عام 1958 قائلاً: " ليس لديهم ما يقدمونه للعالم إلا الزلازل والبراكين!! "

وماذا كان رد فعل اليابان برأيك يا ترى؟... هل ردوا بالاحتجاجات الدبلوماسية، وحرق الأعلام، إلى جانب السب والشتم، أو أنهم ذهبوا ليتوسلوا إلى الأقوياء. كما يمكن أن نتوقع في أيامنا هذه...؟ الجواب: لا... لقد أثر فيهم ذلك أشد التأثير وشعروا بوجود فجوة معرفية بينهم وبين العالم المتقدم وقرروا أن يكون ردهم بالعمل الدؤوب والمتواصل ليل نهار، وهو ما كان بالفعل مرددين مقولتهم المشهورة: " يمكن للقمز أن يرى أبعد من العملاق إذا تسلق

فوق كتفيه " وأصبحت اليابان في أقل من خمسين سنة واحدة من أقوى وأعنى القوى الاقتصادية في العالم. واحتلت المركز الثاني كأكبر اقتصاد في العالم. وما من دولة إلا وتستخدم المنتجات اليابانية رغم أن اليابان تفتقر للمواد الأولية التي تحتاجها الصناعة!!

الأمر لله...

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (٩٨)

لمَّا فرغ ذوالقرنين من بنيانه قال: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾. هذا إشارة إلى الردم. رد العلم والفضل لله عز وجل في التمكين من تسويته.

كم أتمنى أن نردد هذه العبارة الكريمة عند تنفيذ أو استلام المشاريع العمرانية الكبيرة والشاهقة التي نراها صباح مساء. بدلاً من أن نجلب آلات الغناء واللهو والفنانين والفنانات لإقامة الحفلات والسهرات فرحاً بإنجاز مشروع ما حتى ساعات الفجر الأولى حين ينزل الله إلى السماء الدنيا!

وحدد علامة من علامات يوم القيامة...

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾

يعني فإذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي جعل الردم ﴿دَكَّاءَ﴾ أي مذكوكاً مبسوطاً مساوياً بالأرض. فيخرج يأجوج ومأجوج حتى إذا حان الوقت الذي قدر خروجهم على الناس في آخر الزمان ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (٩٦) [الأنبياء: 96].

روي: أنهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه، ثم يأكلون الشجر، ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس، ولا يقدر أن يأتوا مكة والمدينة وببيت المقدس، ثم يبعث الله نغفاً في أفقائهم فيدخل في آذانهم فيموتون.





الخاطرة الخامسة والعشرون: مشهد آخر من مشاهد الدار الآخرة



﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَمَجَعْنَاهُمْ جَمْعًا ۝٩٩ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ۝١٠٠ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَظَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝١٠١ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ۝١٠٢﴾



والله لقد اقشعر بدني وأنا أقرأ بداية الآية فقط ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ وأغمضت عيني لبعض الوقت لأتخيل فلم أحتمل المنظر المخيف، وحاولت الهروب من واقع قادم لا محالة. فيا رب رحمتك أرجو يا رب أنا لا أتقرب إليك بعملتي ولا بعلمي وقلمي ولكن برحمتك، يقول الحبيب الصادق الأمين: " لن يدخل أحدكم الجنة بعمله " قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: " لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسدّدوا وقاربوا " [متفق عليه].

إنه مشهد آخر من مشاهد الآخرة يكتبها ربي في هذا الموقع من السورة المباركة، سورة الكهف، والتي والله تستحق أن تكتب بماء الذهب، وتدرس كمادة أساسية في كلية الشريعة في الجامعات.

إنه يوم القيامة، يوم الطامة، يوم التغابن، يوم الجاثية، يوم الحشر، يوم البطشة الكبرى، يوم الحسرة والندامة كلها أسماء ليوم واحد وسنشهده جميعاً يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وفصيلته



التي تؤويه، يوم تضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، نموج في بعضنا البعض كالموج المتلاطم الذي لا يعرف طريقه، ولكنه يعرف فقط الصدام. الكل في ذهول وجههم تكاد تتميز من الغيظ وهي ترمي بشرر كالقصر، كأنه جمالة صفر.

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾

يعني: أعين قلوبهم.

﴿فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾

أي: في غفلة عن توحيدى والإيمان بي وبكتابي وتأمل معانيه وتبصرها.

﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾

هذا لعداوتهم وعنادهم وكراحتهم ما يندرون به، كما تقول لمن يكره قولك: ما تقدر أن تسمع كلامي. ونحوه قوله تعالى: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِّيٌّ﴾ [البقرة: 18].





الخاطرة السادسة والعشرون: الخاسرون



﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ
صُنْعًا ﴿



أي: قل يا محمد، للناس على وجه التحذير والإنذار هل أخبركم عن أخسر الناس أعمالاً؟ ممن بطل واضمحل كل ما عملوه من عمل، وهم يحسبون أنهم محسنون في صنعه!

من هم هؤلاء؟

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ (١٠٥) ﴿

جحدوا الآيات القرآنية والآيات العيانة، الدالة على وجوب الإيمان بالله، وبملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر. وأنه لا يقيم لهم يوم القيامة ﴿وَزَنًا﴾ لحقارتهم وخستهم، بكفرهم بآيات الله، واتخاذهم آياته ورسله، هزواً يستهزئون بها، ويسخرون منها، فانعكس أمرهم، وتعسوا، وانتكسوا في العذاب المهين. وخسروا لقاء الله وما عند الله. وذلك هو الخسران المبين.



وما هو مصيرهم!...

﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ۝١٠٦﴾

وهذا قمة العدل والإنصاف من رب العالمين، جهنم مصيرهم بما كسبت أيديهم وكفرهم بالله واتخاذهم آياته ورسله هزواً. ولا يظلم ربك أحداً.

همسة ألم...

عن أبي سعيد الخدري: " يأتي ناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة، فإذا وزنوها لم تزن شيئاً ".

يا أله! لوتأمل من يتناول على سب الصحابة الكرام، والسخرية من زوجات الحبيب محمد ﷺ الحديث السابق ووقفوا عليه لبعض الوقت.

ويحهم! يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، بل إننا نحتقر صلاتنا إلى صلاتهم، وصيامنا إلى صيامهم، ولكنهم مع شديد الأسف ولحاجة في نفوسهم يتناولون على أفضل الناس، وأحب الناس، وأكرم الناس، وأشجع الناس، وكأنهم لم يسمعوا بحديث الرسول ﷺ وهو يقول: " لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه " [متفق عليه].

ويحهم! في السابق كانوا يتناولون على الصحابة الكرام في الخفاء لخستهم وحقارتهم، واليوم أخذتهم العزة بالإثم من خلال وسائل إعلامهم الفاسدة لا سيما المحطات التلفزيونية والفضائيات وكأنهم يشهدون الناس على فساد عقيدتهم وما تكنه صدورهم من حقد وحسد على أهل السنة والجماعة.

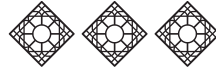
ولا يسعني إلا أن أقول لهم: حكموا عقولكم وقلوبكم وتذكروا الحكمة العربية الرائعة: " الرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل ".



الخاطرة السابعة والعشرون: الجنة



﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا ۖ ﴿١٠٨﴾﴾



يا مسلمون...

قفوا واسمعوا. روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: "جنان الفردوس أربع، ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وثنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن".

هنا سلعة الرحمن. هنا دارالسلام. هنا الجنة.. هنا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. هنا الفردوس الأعلى.. هنا الحور العين.. هنا الخلود.. هنا تلقى الأحبة محمداً وصحبه.. هنا نقبل يدي ورأس محمد ﷺ ونقول له نحن صدقناك وآمنا بك ولم نرك.. هنا نرى الله.. هنا الرحمة الأبديّة.. هنا الخلود إذا أحسننا الظن بالله ورحمته واتبعنا منهجه بعيداً عن الشرك.. الجنة بيتنا الأول.. الجنة دار الخلود.. لا موت لا تعب لا نصب لا حسد لا حساب لا عمل.. في الجنة سنرى سيدنا نوح.. موسى.. هارون.. زكريا.. يحيى.. عيسى.. اسحاق.. يعقوب.. يوسف.. إدريس.. إبراهيم.. اسماعيل..



يونس.. لوط.. صالح.. ذا القرنين.. الخضر.. وسرى مؤمن آل فرعون..
وسنجلس مع أصحاب الكهف والرقيم.. وآخرين لا نعلمهم الله يعلمهم
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ [غافر: 78]

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾

الحول: التحول. وهذه غاية الوصف، لأن الإنسان في الدنيا في أيّ نعيم كان
فهو طامح الطرف إلى أرفع منه. ويجوز أن يراد نفي التحول وتأكيد الخلود.
قال عبدالله بن رواحة:

في جنان الفردوس ليس يخافو

من خروجا عنها ولا تحويلا

ولا ننس بيت حسان:

فإن ثواب الله كل موحد

جنان من الفردوس فيها يخلد

فائدة: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ فإن قيل: قد أعلم أن الجنة كثيرة الخير، فما وجه
مدحها بأنهم لا يبتغون عنها حولا؟ فالجواب: إن الإنسان قد يجد في الدار
الأنيقة معنى لا يوافقه، فيحب أن ينتقل إلى دار أخرى، وقد يمل، والجنة على
خلاف ذلك.



الخاطرة الثامنة والعشرون: المعجزة

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (١٩٠) ﴿



سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قالت اليهود: كيف وقد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس.

المداد: اسم ما تمدّ به الدواة من الحبر. والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مداداً لها، لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات الله ولوجئنا بمثل البحر مداداً لنفد أيضاً. والكلمات غير نافذة. كما جاء هذا التحدي واضحاً في سورة لقمان: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧) ﴿ [لقمان: 27].



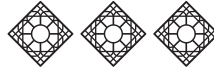


الخاطرة التاسعة والعشرون:

سيد ولد آدم محمد ﷺ



﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَنَ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلِيعْمَلَ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠)



هذه آخر خواطر هذا الكتاب الجميل. يجب أن نقف عندها وقفة تأمل وتدبر. أكتبها والدمعة تودع عيني، فقد استمتعت وأنا أعيش في ظلال السورة بالراحة النفسية وبأجواء إيمانية عظيمة فتحتها الله عليّ وذلك فضل منه ومنّة في هذا الشهر الفضيل. قال رسول الله ﷺ: "من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نوراً من قرنه إلى قدمه، ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء" وعنه ﷺ: "من قرأ عند مضجعه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ كان له من مضجعه نوراً يتلألأ إلى مكة، حشو ذلك النور ملائكة يصلّون عليه حتى يقوم، وإن كان مضجعه بمكة كان له نوراً يتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلّون عليه حتى يستيقظ". وأخرج ابن مردويه والضياء في المختارة عن عليّ قال: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة تكون، فإن خرج الدجال عصم منه". وأخرج ابن مردويه عن عبدالله بن مغفل قال: قال رسول الله ﷺ: "البيت الذي تقرأ فيه الكهف لا يدخله شيطان تلك الليلة". وفي الباب أحاديث وآثار وفيما أوردناه كفاية مغنية.



﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾

قال ابن عباس: علم الله تعالى رسوله التواضع لئلا يزهى على خلقه، فأمره أن يقر على نفسه بأنه آدمي كغيره، إلا أنه أكرم بالوحي. ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: 93]. وقوله تعالى في موضع آخر: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت: 6].

فائدة: قال معاوية بن أبي سفيان في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا إِلَيْهِ﴾ [فصلت: 6]. هذه آخر آية نزلت من القرآن الكريم.

فليعذرني القارئ الكريم عند هذه الوقفة المهمة، فإني سوف أسترسل في الأسطر القادمة وأنا أتكلم عن البشير النذير، السراج المنير، صاحب الرسالة، صاحب الحوض، الشفيع، الرؤوف الرحيم، أشجع الناس، أجمل الناس، أحسن الناس، أجود الناس، أقوى الناس سيد ولد آدم، الصادق، الأمين، الجواد، الكريم، الرحيم.. معدن البلاغة والفصاحة، ومورد الجود والسماحة، إنه الحبيب يا محب، إنه سيدنا محمد النبي المختار ﷺ تسليمًا لا يدرك منتهاه.

" القلم لسان الغائب "

[مأثور عربي]

أما بعد:

كثرت في هذه الأيام التطاولات على رسول الإنسانية محمد ﷺ. فهذا هو حبيب الرحمن، معلم الإنسانية، والذي شهد له الإنس والجان بالصدق والإحسان

يُتطاول عليه هذه المرة من قلب أوروبا، وتحديدًا من تجار الألبان والبقر.. من الدنمارك والنرويج، حيث قامت بعض الصحف الرسمية هناك بقيادة صحيفة "يولاند بوستن" الدنماركية بمباركة الحكومة وتحت غطاء "حرية الرأي والتعبير والحقوق" بإيذاء النبي محمد ﷺ من خلال الإساءة لشخصه ونبوته ﷺ وذلك بنشر رسوم كاريكاتيرية تصوره إرهابياً، وتصوره وهو يصلي في أوضاع مهينة وإلى غير ذلك من الإهانات. وأنا أقف اليوم وأقول ما قاله شاعر الرسول حسان بن ثابت:

هجوت محمدًا فأجبت عنه

وعند الله في ذاك الجزاء

والله العظيم لقد أبى قلبي أن يكتب ما أمليه عليه.. وشعرت بأنه سينكسر بين أصابعي من شدة غضبه على المعتدي الأثيم. فدينك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله. لعن الله المستهزئين... ﴿يَحْضَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس: 30].

سبحان الله! كأنما تواصوا بهذا الحقد الدفين على الرسول الأمين على مر السنين! ﴿أَتَوَاصُوهُ بِبَلِّ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: 53].. فأوروبا التي احتضنت الكاتب المجرم سلمان رشدي ودافعت عنه وأعطته الأمن والأمان لأنه آذى وتطاول على النبي ﷺ واستهزأ بزوجاته رضوان الله عليهم.. هي نفسها أوروبا التي دافعت عن تسليمه نسرين.. هي نفسها أوروبا التي وقفت مستمعة إلى تصريحات حرسى النائبة الهولندية عندما وصفت فيها رسول الإسلام والدين الإسلامي بأخس النعوت والتي صرحت لجريدة هولندية أن رسول الإسلام

حارب المرأة وحرّمها من العمل والخروج من بيتها.. هي نفسها أوروبا التي وقفت تصفق بشدة لبابا الفاتيكان بنديكتوس السادس عشر في 12 ستمبر 2006م عندما قال في محاضرة بجامعة ريغنسبورج بألمانيا وزعم فيها أن رسول الإسلام محمد ﷺ لم يأت إلا بكل ما هو سيء وشرير ولا إنساني ومن ذلك أمره نشر دينه بالسيف! فما أشبه اليوم بالبارحة.

إنها طبيعة الطغيان وتجاوز الحق والقصد التي تجمع بين اليهود والكفار الغابرين واللاحقين، والصليبيين الضّالّين المضّلين!.. قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر.. حسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.. إنا لله وإنا إليه راجعون.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. قاتلهم الله، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ ﴿الكهف: 5﴾.

أيها المسلمون...

أنا لا أقف في هذا اليوم الصعب لأصّب جام غضبي على أوروبا وأهلها فالله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: 164]. وإنما حديثي موجه إلى ذلك المجرم صاحب الرسومات المسيئة إلى رسول الأمة. فالعدل مطلوب. والتطرف مرفوض.

ويا أمة التوحيد...

هل تتذكرون! اليهودي الحاقّد " كعب بن الأشرف " الذي كان من أشد اليهود حنقاً على الإسلام والمسلمين؟ وكان أشدّ إيذاءً لرسول الله ﷺ، وتظاهرا بالدعوة إلى حربه. فقد كان يهجو رسول الله ﷺ والمسلمين، ويشبّه في أشعاره بنساء الصحابة، ويؤذّيهم بسلطة لسانه أشدّ الإيذاء.

وحينئذ قام رسول الله ﷺ وقال: "من لكعب بن الأشرف؟ فإنه آذى الله ورسوله"... الله أكبر هل تأملتُم ووقفتم على ما قاله الحبيب ﷺ: "فإنه آذى الله ورسوله" نستنتج هنا: الله ورسوله جهة واحدة، فمن آذى الرسول فقد آذى الله، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله. وصدق الله حيث يقول: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: 80].

نقول: فهم الصحابة الكرام هذا التعبير أشد فهم، وهل بعد التطاول على الذات الإلهية المقدسة والمقام النبوي الشريف تطاول؟!

وهب محمد بن مسلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: "أنا يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: نعم". ولقد صدق من قال:

ومن تكن الأسد الضواري جدوده

يكن زاده رفداً ومطعمه عسبا

فذهب ابن مسلمة مع مجموعة من الصحابة، فشيّعهم الرسول ﷺ إلى بقيع الغرقد، ثم وجههم قائلاً: انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم، ثم رجع إلى بيته، وطفق يصلي ويناجي ربه.

فقام محمد بن مسلمة فضرب اليهودي ضربة تقول كتب السيرة إن كعب بن الأشرف صاح صيحة شديدة أفزعت من حوله، فلم يبق حصن في المدينة إلا أوقدت عليه النيران.

نعم هكذا يفعل الأبطال.. هكذا يفعل الرجال.. قتلوه فجاءوا رسول الله ﷺ فرأهم مكبرين فعرف أنهم قد قتلوه فكبر وقال: "أفلحت الوجوه"، قالوا: ووجهك يا رسول الله، ورموا برأس الطاغية بين يديه، فحمد الله على ذلك، وأثنى عليه.

أيها الأحبة...

أتعجبون من هذه القصة. إنه الحب الصادق للنبي الصادق.. أتذكرون يوم الفرقان.. أتذكرون يوم التقى الجمعان؟ يوم بدر.. أتذكرون سبب قتل فرعون هذه الأمة في ذلك اليوم العظيم؟.. روى البخاري في صحيحه عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، أنه قال: "إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت، فإذا عن يميني وعن يساري فتیان حديثا السن، فكأنني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سرّاً من صاحبه: يا عم، أرني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي، فما تصنع به؟ قال: أُخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك. قال: وغمزني الآخر، فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه، قال: فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "أيكما قتله؟" فقال كل واحد منهما: أنا قتلتُه، قال: "هل مسحتما سيفيكما؟" فقالا: لا، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السيفين، فقال: كلاكما قتله، والفتيان هما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عفراء.

أخي الكريم...

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم

إن التشبّه بالكرام فلاح

والله الذي لا إله إلا هو لولا الخوف من الإطالة والتوسع حول هذه النقطة لجف مداد قلّمي عن كتابة وذكر قصص الأولين والآخرين والتي جاءت في حب محمد صلى الله عليه وسلم!

فيا حملة الدعوة ويا شباب الصحوة المباركة...

من منكم ينصر طه؟ إنه خير من صلى وصام وطاف بالبيت الحرام حبيبنا محمد ﷺ.. لا تنسوا أنه البشير النذير، والسراج المنير، والمبعوث رحمة للعالمين.. أين عقيدة الولاء والبراء؟.. تذكرت وأنا أكتب عبارة عقيدة الولاء والبراء موقف الصحابي الجليل عبدالله بن أبي بن سلول عندما وقف والده المنافق ابن سلول على باب المدينة، وزعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، يعني لعنه الله أنه هو العزيز.

وكان ابن هذا المنافق رجلاً صالحاً من الصحابة الأخيار، فتبرأ من أبيه، ووقف له على باب المدينة، واستل سيفه، فلما جاء ابن أبي قال له: والله لا تجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ، فإنه العزيز وأنت الذليل، فلما جاء النبي ﷺ أذن له، فخلى سبيله، وكان قد قال عبدالله بن أبي: يا رسول الله إن أردت قتله فمُرني بذلك، فأنا والله أحمل إليك رأسه. الله أكبر يقتل والده من أجل رسول الله! أي حب هذا، وأي عقيدة هذه.

أسأل الله ألا يمقتنا، أين نحن من هؤلاء؟

يا من تدعون إلى حوار الأديان...

أرجو منكم ألا تدافعوا عن صاحب الرسومات وتقولوا إنه معذور لأنه لم يتعرف على حقيقة هذا الدين العظيم. فهناك حقيقة مهمة يجب أن تعرفوها قرأتها في كتاب الإسلام والغرب للكاتب يحيى أبوزكريا وهي: أن الشاعر والأديب النرويجي المعروف وصاحب النشيد الوطني هنرك فرجلاند كان قد دخل الإسلام في بدايات القرن التاسع عشر (حوالي 1820) وأنه مات مسلماً. وقد تعرف إلى الإسلام عن طريق الدراسة والبحث وكان يبحث عن كل الكتب التي

تقدم شرحاً عن الإسلام، وكانت المكتبة الملكية في النرويج تحوي مئات الكتب التي تتحدث عن الإسلام والتي أفاد منها كاتب النشيد النرويجي والذي يعتبر من أكبر الأدباء النرويجيين على الإطلاق. وقد كان مما كتبه لوالده قبيل وفاته: إنني أموت وأنا أوّمن بالإله الواحد.

أيها الشباب الملتزم...

لا تكونوا من الذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون.. أين أنتم من هذا الحب الصادق؟.. أين دوركم المعهود؟... ما لي لا أسمعكم؟.. لا أراكم؟.. أين مساهمتكم في حماية الدين والملة، وحفظ مقام النبوة، من النفوس الطاغية، والألسنة المقدعة؟.. وأين أنتم من قوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: 81]؟

وأين أنتم من الحب الصادق لرسول الله ﷺ وهل تكون امرأة بني دينار أصدق منكم حباً لرسول الله ﷺ؟ أتعرفون قصتها يوم أحد عندما مر عليها رسول الله ﷺ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها بأحد، فلما نعوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير إليها، حتى إذا رآته قالت: كل مصيبة بعدك جلل [صغيرة].

من منكم يقول: لبيك وسعديك يا رسول الله، ويدافع عن الحبيب محمد ﷺ؟.. والله إن لم تنتصر لرسول الله بتوجيه من الحكماء والعلماء والعقلاء لبطن الأرض خير من ظهرها.. والله إنه لا اختبار لعقيدتنا وقوتها في قلوبنا.. ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: 179]. إنه يوم الفرقان.. ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 141]... لا أريد أن أذكر

نفسى بما قاله الإمام الشافعي:

وما أكثر الإخوان حين تعدُّهم

ولكنهم في النائبات قليلٌ

فيا شباب: نريد منكم الغضب والحماس المتزن البعيد عن العاطفة الجياشة،
نريد منكم خطوات عملية منظمة. وماذا عملتم لملايين البشر في أوروبا
لتصحيح الصورة عن نبي الأمة؟ أم أنتم تعتقدون أن المظاهرات العشوائية
والسب وحرق الأعلام هي الحل الأمثل؟

أيها الشعراء والأدباء...

واعجبا. ليت شعري.. أين أنتم؟.. ما دليلكم على حب الرسول الكريم؟.. وأين
قصائدكم؟.. أليس فيكم من يقوم ويقول لهذا النصراني:

هجوت مباركاً براً حنيفاً

أمين الله شيمته الوفاء

فإن أبي ووالده وعرضي

لعرض محمد منكم فداء

تحركوا.. ساهموا في مسابقات الشعر الأوروبية والغربية.. ترجموا قصائدكم في
حب الرسول ﷺ إلى اللغة الانجليزية وإلى اللغات الأخرى ليعرف العالم مدى
حبكم لرسولكم الكريم، ولتوصلوا رسالة الإسلام إلى الغرب عن طريق الشعر
والنثر.

أيها الخطباء والدعاة...

أين أنتم؟.. بماذا أنتم منشغلون؟ هل شغلكم تسجيل أدعية الصباح والمساء للإذاعات؟.. أم برامج الإفتاء المباشرة في أجهزة التلفاز؟.. أم اختيار التصميم المناسب لأغلفة كتبكم ورسائلكم العلمية؟ ومن منكم سيكون في مواجهة الذين يحادون الله ورسوله؟.. إلى متى الخوف والسكوت؟ ومن غيركم يشمر؟!.. تذكروا قول الشاعر:

من يُهن يسهّل الهوانُ عليه

ما لجرحٍ بميتٍ إِيـلامُ

لا نريد خطباً رنانة مليئة بالسب والشتم فالله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنَ الْكُلِّ أُمَّةٌ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنعام: 108].

ويا علماء أمة محمد ﷺ.. يا ورثة الأنبياء...

ويحكم! وصفكم الرسول ﷺ بأنكم ورثة الأنبياء. أليس فيكم من يكون كالإمام ابن تيمية رحمه الله، وطيب ثراه، ذلك العالم الرباني الذي يستحق أن يوصف بأنه " أمة اجتمعت في رجل " عندما قام أحد النصارى، ويدعى عساف النصراني وتناول على الرسول ﷺ بالسب والشتم. لم ينتظر إذناً سياسياً أو ثقافياً من أحد ليقول ما يجب أن يقال.. ولم يتردد.. ولم يقف مكتوف اليدين ينظر حوله.. ولم يحفز غيره للنهوض والدفاع وهو يجلس مرتاحاً.. ولم يتوسل للنصراني ليعتذر عما قاله.. ولم يلم نفسه ويقول للنصراني معذور لأنه لا يعرف حقيقة هذا الدين العظيم! ولم يطلب من الناس ألا يستعجلوا

حتى يرسلوا الوفود تلو الوفود لإقناع النصراني بالتوقف عما يقول. بل وقف
ولسان حاله يقول:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم

حتى أوسد في التراب دفينا

فقام له وتصدى فوقعت محنة عظيمة، ضرب على أثرها شيخ الإسلام، وسجن
من قبل نائب الأمير المسلم!! رغم ذلك لم يتوقف عن الدفاع عن الحبيب
فصنف شيخ الإسلام في هذه الواقعة كتابه الحافل العظيم " الصارم المسلول
على شاتم الرسول " فجلب النصوص والأصول، وحرر الفروع، ودوّن أقوال علماء
الملة، وكشف من في قلبه دخل، وفي دينه رقة وذلة، وأوقف كل متطاول عند
حده، فحمى عرض النبي الأعظم والرسول الأكرم ﷺ.. فظل التاريخ يذكر هذا
الموقف الرجولي والبطولي لهذا العالم حتى هذه اللحظة. وهو والله من يصدق
عليه قول ابن الزمكاني:

ماذا يقولُ الواصفون له

وصفاته جلّت عن الحصرِ

هو حجةٌ لله قاهرةٌ

هو بيننا أعجوبةُ الدهرِ

هو آيةٌ في الخلق ظاهرةٌ

أنوارها أربت على الفجرِ

رحمك الله يا ابن تيمية رحمة واسعة، وكف الله عن بدنك النار، وأدخلك الجنة دار القرار، وجزاك الله عن الإسلام والمسلمين خير ما يجازى به النبيون والصديقون والأبرار وحسن أولئك رفيقا. وموعدنا معك مع محمد وصحبه في جنة عرضها السموات والأرض. اللهم آمين.

فلا مجال إذاً للخوف، ولا مجال للهزيمة النفسية، ولا مجال إذن لأن يولي المؤمن دبره عندما يتعرض الرسول ﷺ للسب والقذف. ﴿أَتَحْشَوْنَهُمْ فَأَلَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَحْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 13].

إنه الحبيب.. أيها المحب... أليس كذلك؟

والله ما حملت أنثى ولا وضعت مثل النبي رسول الأمة الهادي صلى الله عليه وسلم.

أيها العقلاء...

إن الواقع المؤلم لحال كثير من المسلمين في التهاون وعدم نصره الله ورسوله، هو مؤذن بحلول غضب الله ونقمته على الجميع، يقول الله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 25].

يقول ابن كثير، رحمه الله تعالى، في تفسيره لهذه الآية الكريمة: أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين ظهرائهم فيعصمهم الله بالعذاب، فعقابه سبحانه قاس شديد لا يطاق ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ وهذا تحذير عظيم للمؤمنين من أن يتركوا طاعة الله ونصرة رسوله، فينتشر الشر ويعم الفساد، وينزل البلاء فيعم الصالح والطالح، والبار والفاجر، والظالم والعاقل.

يا راجي شفاعة محمد ﷺ...

إن الحديث عن تناول اليهود والنصارى على الرسول ﷺ يطول ويطول. يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [٣١] ﴿[الفرقان: 31]﴾. والمقصود بهذه الآية: "كما جعلنا لك يا محمد، أعداء من كفار قومك، الأشرار المجرمين، كذلك جعلنا لكل نبيٍّ سبقك، أعداء له، يعادونه ويؤذونه، ويتهمونونه بالاتهامات الشنيعة، فلا تبال بمن عاداك، وكفى بربك أن يكون هادياً لك، وناصرًا لك على أعدائك، فإنَّ فرج الله قريب!!"

أيها المسلمون...

إن معتقدات الأمة الإسلامية خطوط حمراء لا يجوز الاقتراب منها، ولا يجوز السماح لكائن من كان بتجاوزها.. وهذا الكلام نقوله لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد... عموماً، إذا اثاقلتم إلى الأرض فتذكروا أن الله لن يترك رسوله دون نصره، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [٤١] ﴿[الأنبياء: 41]﴾، ومن سنة الله أن من لم يتمكن المؤمنون أن يعذبوه من الذين يؤذون الله ورسوله، فإن الله سبحانه ينتقم منه لرسوله ويكفيه إياه، وكما قال سبحانه: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [١٥] ﴿[الحجر: 195]﴾، وهذا كسرى مَرْقَ كتاب رسول الله ﷺ، واستهزأ برسول الله ﷺ. فقتله الله بعد قليل، ومَرْقَ ملكه كل ممزق، ولم يبق للأكاسرة ملك.

وقد روى العلامة ابن حجر العسقلاني في كتابه النفيس -الدرر الكامنة- قصة أرى من المناسب ذكرها في هذا المقام ولا يهمني مدى صحتها بقدر ما يهمني الدرس المستفاد منها: "كان النصارى ينشرون دعائهم بين قبائل المغول طمعاً في تنصيرهم وقد مهد لهم الطاغية هولاكو سبيل الدعوة بسبب

زوجته الصليبية (ظفر خاتون) وذات مرة توجه جماعة من كبار النصارى لحضور حفل مغولي كبير بسبب تنصر أحد أمراء المغول فأخذ واحد من دعاة النصارى في شتم النبي ﷺ وكان هناك كلب صيد مربوط فلما بدأ هذا الصليبي الحاقد في سب النبي ﷺ زمجر الكلب وهاج ثم وثب على الصليبي وخمشه بشدة فخلصوه منه بعد جهد فقال بعض الحاضرين هذا كلب عزيز النفس رأني أشير بيدي فظن أنني أريد ضربه.. ثم عاد لسب النبي ﷺ وأقذع في السب عندها قطع الكلب رباطه ووثب على عنق الصليبي وقلع زوره في الحال فمات الصليبي من فوره، فعندها أسلم أربعون ألفاً من المغول! ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ﴿٥٧﴾ [الأحزاب: 57].

لا يأس...

فالله ناصر رسوله لا محالة.. ﴿إِلَّا نَضْرِبُوهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: 40]... ﴿إِنَّ شَأْنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ ﴿٢﴾ [الكوثر: 3]...

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 137]...

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ ﴿٣١﴾ [الفرقان: 31]... تأملوا معي: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ ﴿٣١﴾ ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه: " ما خلق الله وما ذراً وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد. وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ [الحجر: 72].

والتقليل في الكتابة حول هذا الموضوع يغني اللبيب عن التطويل!

ولكن، وقبل الوداع...

نقول للصليبي الفاسق المجرم الذي تجرأ على التطاول على الحبيب محمد ﷺ:
أتدري من رميت وكيف تدري؟

فما أعماك عن شمسٍ وبدرٍ
رميت الفجر بالبهتان كيداً

ونورُ الحق محفوف بفجر

ونقول له: لقد جئت شيئاً إداً، لذا فإن الملايين لن تسكت عنك وعن أمثالك،
وبدأت تردد صباح مساء ما قاله شاعر الرسول حسان بن ثابت:

فإن أبي ووالده وعرضي

لعرض محمد منكم فداء

لأنها يا تاجر البقر تحب رسولها الكريم وترخص الغالي والنفيس لأجله:

نسيت في حُبك الدنيا وما حملت

وبعتُ من أجلك الأنفاسَ والنفسا

وأنصحك أيها الصليبي المتعصب أن ترجع إلى كتب التاريخ وتقرأ جيداً ما
حل بآبائك وأجدادك عندما تجاوزوا الحد وتناولوا على الرسول الكريم. هل
تُحسُّ منهم من أحد أوتسمعُ لهم ركزا؟

وأنصحك، يا بائع الحليب، لتعود إلى الحق وتقرأ ما قاله الأدباء
والحكام من أهلك في أوروبا وخاصة الأديب الألماني جوته: "إننا أهل
أوروبا بجميع مفاهيمنا لم نصل بعد إلى ما وصل إليه النبي محمد ﷺ،

وسوف لا يتقدم عليه أحد وقد بحثت في التاريخ علني أجد مثلاً أعلى
لهذا الإنسان فوجدته في النبي محمد وحده.. وهكذا وجب أن يظهر الحق
ويعلو كما نجح محمد الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد".

تعلم خيار الناس أن محمداً

وزير لموسى والمسيح ابن مريم

فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا

فإن طريق الحق ليس بمظلم

أيها المسلمون...

آخر كلمة أكتبها لكم أنتم أيها المسلمون يامن تسكنون مشارق الأرض
ومغاربها أقول لكم كما قال الشاعر:

أنا لست أيأس من مصائبنا التي

تذكي لهيب الحزن في وجداني

لقد امتدحنا الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]، لذا أرجو أن
لا يتسلل اليأس إلينا، فنحن كمسلمين لا نعرف اليأس أبداً مهما حصل،
فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 87]،
وإنما نحن على يقين، نعم، يقين بوعد من الله بالنصر والتمكين وخاصة
وقت الشدة واشتداد البلاء، خاصة إذا تعلق الأمر بسب الرسول ﷺ.. ومن

عجيب الأمر أن المسلمين كانوا في جهادهم إذا حاصروا حصناً أو بلدة فسمعوا من أهلها سباً لرسول الله ﷺ استبشروا بقرب الفتح مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوه! قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَأٍ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف: 110]. تلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً. فلا بد من الشدائد، ولا بد من الكروب والمحن ليعرف الصادق من الكاذب، وليعرف من بكى ممن تباكى.. ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: 179]، والمطلوب أولاً: الصبر على البلاء..

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: 200]، والمطلوب ثانياً: سؤال الله العافية مع الثقة بنصر الله.. ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ ۗ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: 160].

والمطلوب ثالثاً: الإعداد النفسي والجسماني.. ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ ۚ عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: 60].

أبشروا يا معشر المسلمين.. لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم إن شاء الله تعالى.. فسددوا وقاربوا وأبشروا.. فبعد المحنة تأتي المنحة. ولنردد معاً..

فلربما كان الدخول إلى العلا

والمجد من بوابة الأحزان

دعاء ورجاء...

اللهم قلت وقولك حق: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: 61].
اللهم قلت وقولك حق: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60]...
اللهم إننا منذ عدة أشهر وإلى هذه اللحظة من شهر رمضان المبارك ندعو دولة الدنمارك كما أمرتنا بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلناهم بالتي هي أحسن للكف عن سب وقذف نبيك وحبيبك وخليتك محمد ﷺ، ولكنهم أعرضوا بل وأشركوا جارتهم النرويج في الحملة المسعورة على شفيعنا...
يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا.. بل ووقفت أوروبا كلها معهم بحجة الحرية وحرية التعبير عن الرأي!... وتجراً من تجراً حتى العرب من النصارى وعلى رأسهم "قناة الحياة" التلفزيونية لعنها الله ولعن القائمين عليها إلى يوم الدين... اللهم إن كانوا يصرون على الظلم والعدوان ومعصية الرسول فأذقهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون... اللهم إنك وحدك تعلم ما تكنه صدورنا من حب لك وغيرة على حبيبنا محمد ﷺ، لكن القوم كلما دعوناهم استغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً.. ومكروا مكراً كباراً.. ربنا إنك آتيتهم قوة وأموراً في الحياة الدنيا.. ربنا ليضلوا عن سبيلك.. ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم... قولوا " آمين " .

وختاماً...

نفسى الفداء لمجدٍ أنت حاملُهُ

فيه العفاف وفيه الجود والكرم

وأخيراً، يقول العبد الفقير إلى الله جلّ شأنه، الراجي عفوه ومثوبته راشد الليم: هذا ما تيسّر لي من الكلام في حُب محمد ﷺ، ذكرنا ما يسره الله واقتضاه الوقت، وعند الله في ذاك الجزاء، بأبي أنت وأمي يا رسول الله... أشهدك يا رب، من خلال هذه الأسطر المتواضعة، أنني أحب حبيبك محمداً ﷺ... إلهي وسيدي ومولاي فاغفر لي ذنوبي بحبي له.. إلهي وسيدي ومولاي إن قضيت عليّ بالعذاب يوم الحساب فلا تُعلم قارئ هذه السطور بعذابي صيانة لرحمتك ولكرمك لا لأجلني، لئلا يقول عدّاب من حب حبيبه... يا رب رحمتك أرجو.

يا من يرى مد البعوض جناحها

في ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى عروق نياطها في نحرها

والمخ في تلك العظام النحل

اغفر لعبد تاب عن فرطاته

ما كان منه في الزمان الأول

أيها القارئ الكريم...

ما كان من صواب فمن الله وتأيبه، وما كان خطأ فمن ضعفي وعجزتي، وأنا أعترف به فقد غلبت العاطفة العقل في بعض الفقرات، وليعلم أن الإنسان مهما تحرى الحق والصواب فهو عرضة للخطأ والزلل، فأرجو القارئ الكريم أن يصفح عما قد يعثر عليه من هفوات وسقطات، ففوق كل ذي علم عليم، وما أوتينا من العلم

إلا قليلاً، وقد قيل: "من ألف، فقد استهدف" أسأل الله العفو والعافية والمغفرة. وأرجو ممن قرأه ووجد فيه خللاً أن ينبهني إليه بالتّي هي أحسن امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 2]. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "رحم الله من أهدى إلينا عيوبنا" ولا تكن من الذين قال عنهم ابن تيمية: "بعض النَّاس كالذِّباب لا يقع إلّا على الجرح". ورحم الله الإمام الزمخشري حين قال:

تعجبت من هذا الزمان وأهله

فما أحد من ألسن الناس يسلم

ولكن كن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. وتذكر:

عين الرضا عن كل عيب كيلة

وعين السخط تبدي المساويا

وصلّى الله على سيدنا محمد الذي كبت الله "محاده" ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، كِتُوكَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة: 5] ... وكفاه "المستهزئين" به ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: 95] ... وبتر "شأنه" ﴿إِنَّ شَأْنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: 3] ... ولعن "مؤذيه" في الدنيا والآخرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: 57] ... واختصه بخصائص تفوق التعداد فمنها ما رواه الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أعطيت خمساً، لم يعطهن أحد قبلي: ثُبرت بالربع بين يدي مسيرة شهر، وجُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأُحِلَّت لي الغنائم، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبعثت

إلى الناس عامة" [متفق عليه]... ولله الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود ولواء الحمد الذي تحته كل حماد، صلى الله عليه وعلى آله أفضل الصلوات وأعلاها، وأكملها وأنماها، كما يحب سبحانه أن يُصلى عليه وكما أمر، وكما ينبغي أن يُصلى على سيد البشر، والسلام على النبي ورحمة الله وبركاته أفضل تحية وأحسنها وأولاها، وأبركها وأطيبها وأزكاها، صلاةً وسلاماً دائماً إلى يوم التئاد، باقيين بعد ذلك أبداً رزقا من الله ما له من نفاد.

صلى الإله ومن يحفّ بعرشه

والطيبون على المبارك أحمد

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وبعد فهذا ما أحببت أن أبينه للقارئ مما يعتلج في نفسي من خواطر. والحمد لله الذي يسر وأعان، حتى أمكن إخراج العمل على هذه الصورة الرائقة، التي يراها القارئ الكريم. راجياً من الله تعالى أن ينتفع بها كل مسلم، وأن تكون إضافة إلى المكتبة الإسلامية، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون لنا لا علينا يوم القيامة.

بالله يا قارئاً كتي وسامعها

أسبل عليها رداء الحكم والكرم

واستر بلطفك ما تلقاه من خطأ

وأصلحنه تشب إن كنت ذا فهم

فكم جواد كبا والسبق عادته

وكم حسام نبا أوعاد ذو ثلم

وكلنا يا أخي خطاء ذو زلل

والعذر يقبله ذو الفضل والشيم

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

رب اغفر لي ولوالدي.. وارحمهما كما ربياني صغيراً.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 286].

وغداً نلقى الأحبه محمداً وصحبه.

راشد الليم

rashid@alleem.com

الجمعة 4/9/2009م

الشارقة

نبذة عن المؤلف: راشد الليم

الدكتور المهندس راشد الليم قائد ملهم ومفكر معروف على نحو واسع في الأوساط الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والأكاديمية، ويحتل المرتبة الثالثة من بين 25 رئيس تنفيذي أكثر تأثيراً في منطقة مجلس التعاون الخليجي، كما أنه يعتبر واحداً من بين 100 رئيساً تنفيذياً أكثر تأثيراً في منطقة الشرق الأوسط، وهو كاتب وناشط بيئي معروف وقائد يتميز برؤى ثاقبة وأفكار مبتكرة يمثل خليطاً ما بين التفكير النقدي والتفكير الابداعي، ويعد رائداً معروفاً من رواد التطوير والتغيير ويحظي بالاحترام العالمي.

والدكتور راشد الليم هو المؤسس والرئيس التنفيذي لمركز الليم للمعرفة الذي ينظم سنوياً 5 مؤتمرات ومنتديات في مجالات القيادة والتنمية المستدامة والتسويق والهوية المؤسسية وإدارة المشروعات والطاقة والمياه وقد تولى العديد من المناصب القيادية في الهيئات الحكومية وشبه الحكومية والمؤسسات غير الربحية البارزة منها مدير عام دائرة الموانئ والجمارك وهيئة المناطق الحرة بالشارقة ومدير عام جمعية الشارقة الخيرية ويشغل حالياً منصب رئيس هيئة كهرباء ومياه الشارقة وهو بالاضافة إلى ذلك رجل أعمال ناجح يميل دائماً إلى اتخاذ قراراته الاستراتيجية الفعالة باستخدام وسائل التفكير الابتكاري الحديث.

الدكتور راشد الليم حصل على العديد من الدرجات العلمية والشهادات الدولية منها دكتوراه في الفلسفة من جامعة سالفورد في مانشستر بالمملكة المتحدة،

ونظراً لمساهماته الفعالة في مجال التنمية المستدامة والبيئة والانسانية منح الدكتور راشد الليم عدد 5 دكتوراه فخرية من كبريات الجامعات العالمية شملت الدكتوراه الفخرية من جامعة اطلانتيك انترناشونال بالولايات المتحدة الامريكية تقديراً لانجازاته في المجالات الاقتصادية والاجتماعية، كما حصل على شهادات دكتوراه فخرية من جامعة الصومال للخدمات الانسانية ودكتوراه فخرية من جامعة السلام الهندية في الفلسفة لمساهماته الاستثنائية وجهوده وخدماته لفئات المجتمع المختلفة وفي نوفمبر 2018 حصل الدكتور راشد الليم على شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة أميتي في دبي وأصبح الدكتور راشد الليم بذلك يمثل نموذجاً فكرياً وعلمياً كبيراً.

ولعل الجوائز وشهادات التكريم والألقاب المختلفة التي حظي بها طوال مسيرته المهنية والفكرية تعد بمثابة شاهداً على الجهود الحثيثة التي يبذلها في مختلف المجالات والأصعدة وذلك مثل جائزة الانجاز من جامعة الدول العربية عام 2007 والميدالية الذهبية من عمدة كان لجهوده ومبادراته البيئية وجائزة التميز في القيادة التي حصل عليها من اتحاد غرف التجارة والصناعة بالهند عام 2008، وقد فاز كذلك بجائزة قادة الأعمال في الشرق الأوسط لعام 2012 تقديراً لمساهماته في مجال تدريب وتطوير الكوادر البشرية القيادية، بالإضافة إلى جائزة جواهر العالم الاسلامي لعام 2012 في جاكرتا باعتباره أحد التسعة محركين للاقتصاديات الاسلامية، كما منحه رئيس الوزراء الماليزي الأسبق مهاتير محمد لقب شخصية البيئة لعام 2012 تقديراً لمبادراته ومساهماته في مجال ترويج البيئة المستدامة وتم منح الدكتور راشد الليم لقب سفير المعرفة لدولة الإمارات العربية المتحدة من قبل صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس دولة الإمارات ورئيس

مجلس الوزراء حاكم دبي لمساهماته المتميزة في مجال المعرفة، كما تم منح الدكتور راشد الليم جائزة التنمية المستدامة السنغافورية لعام 2017 من قبل حكومة سنغافورة وتم اختياره عضواً في مجلس المياه العالمي بسنغافورة وكذلك حصل على لقب سفير السلام والسعادة العالمي من قبل محطة اذاعة صوت كيرلا.

وفاز الدكتور راشد الليم مؤخراً بجائزة سفير البيئة العالمي من (DMG). وحققت هيئة كهرباء ومياه الشارقة تحت قيادته العديد من الإنجازات حيث حصلت على أكثر من 20 جائزة عالمية ومحلية منها شهادتا معادلة الانبعاثات الكربونية لتمييزها في توفير الطاقة وتخفيض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون وذلك من "اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ في عامي 2017 و2018 على التوالي، كما فازت الهيئة بجائزة الشرق الأوسط للتميز في خدمة المتعاملين لعام 2018 وجائزة الشارقة للعمل التطوعي.

كما حصل الدكتور راشد الليم على لقب "البروفيسور الفخري" من مجمع الأكاديميين بمدينة أكسفورد البريطانية تقديراً لجهوده ومساهماته العلمية والإدارية والإنسانية خاصة في مجال التنمية المستدامة عام 2018م.

كما منحت دار الهلال المصرية الدكتور راشد الليم درع "رموز العطاء والتميز والإبداع" لجهوده المتميزة على المستويين العربي والدولي في مجالات التنمية المستدامة والقيادة والإدارة الناجحة 2019م.

ويشارك الدكتور راشد الليم بمحاضراته القيمة والمفيدة في الجامعات العالمية والمحلية ويتحدث في العديد من المنتديات والمؤتمرات العالمية والاقليمية حيث يقدر متوسط عدد مستمعيه بحوالي 100,000 شخص تقريباً في كل عام،

بالإضافة إلى ذلك فإنه من أكثر الشخصيات جاذبية لوسائل الإعلام والتي تجري معه العديد من المقابلات الصحفية والإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية في المنطقة.

ويعد الدكتور راشد الليم من الكتاب البارزين الذين يكتبون باللغتين العربية والانجليزية وله العديد من المؤلفات والكتب في مجال القيادة والإدارة وأحدث إصداراته كتاب "طريق سيوا" والذي يحدد مبادئ النجاح الخمسة عشر التي تمثل خارطة طريق لتحقيق النجاح على المستويين التنظيمي والشخصي ومن بين مؤلفاته الأخرى كتاب (أسرار قيادتي) والذي تم تأليفه باللغة الانجليزية وتمت ترجمته إلى اللغتين العربية والألمانية، ويعكس هذا الكتاب أفكاره وتجاربه في العديد من القطاعات والمجالات وفي إطار جهوده التي تهدف لتحقيق التنمية المستدامة وتحسين الظروف المعيشية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية في جميع أنحاء العالم والعمل على تحسين المستويات المعيشية للملايين من البشر الذين لم يستفيدوا بعد من مزايا التنمية المستدامة والنمو الشامل فإن الدكتور راشد الليم قدم للمكتبة العالمية 4 إصدارات من تأليفه عن التنمية المستدامة وهي (رحلتي الخضراء في الحميرية) و(الموجة الرابعة للاقتصاد) و(أنا ملتزم.. 17 هدفاً عالمياً) و(أهداف الليم للتنمية المستدامة).

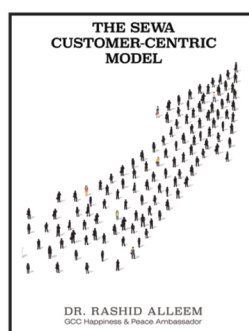
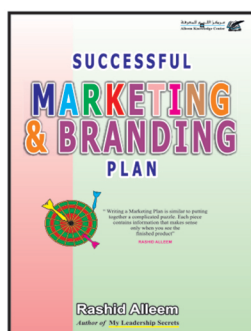
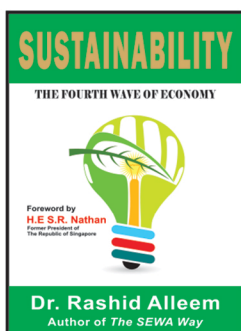
-تم بحمد الله-

مؤلفات الدكتور المهندس راشد الليم

العربية



الإنجليزية



9

